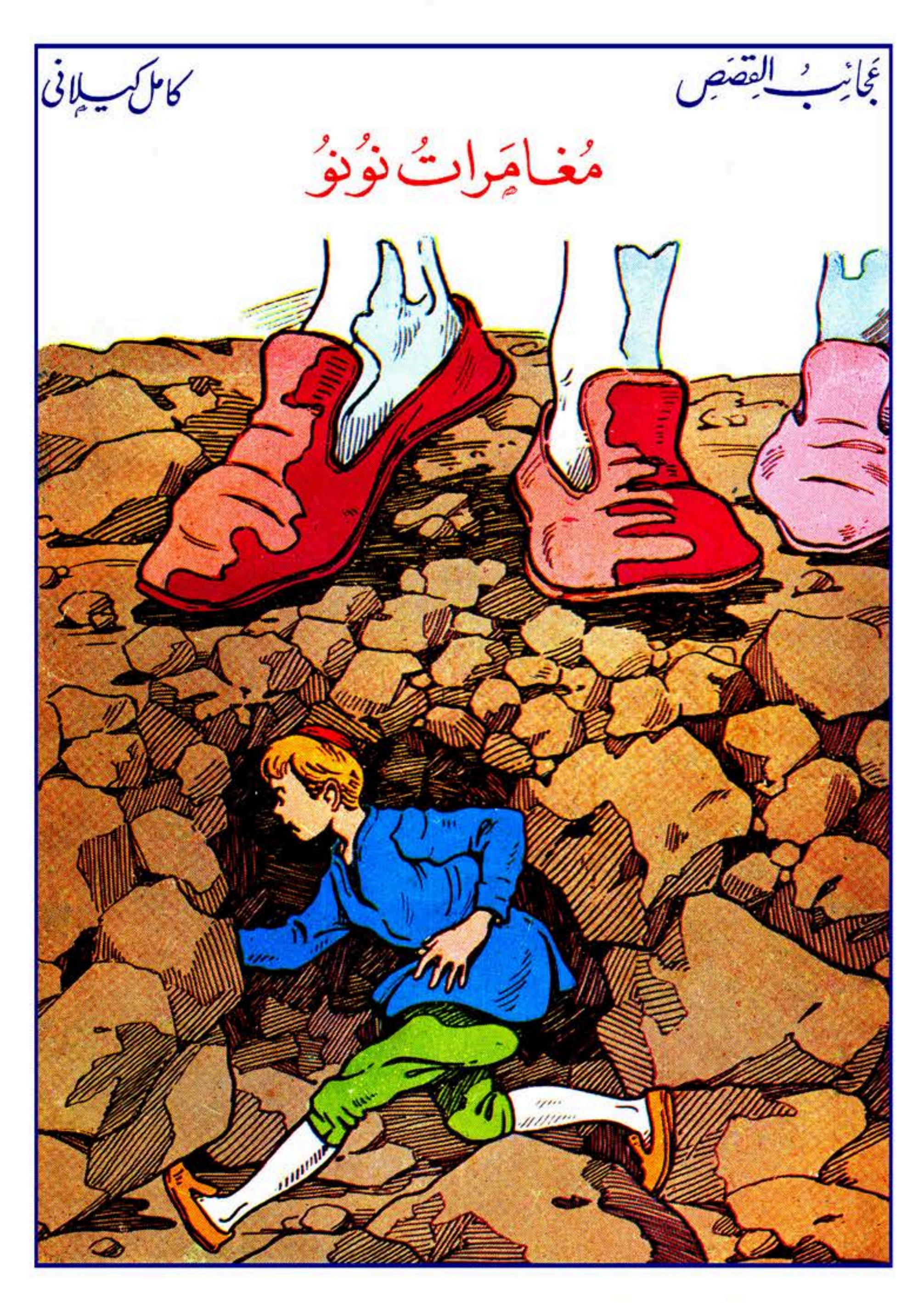


دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨

كل الحقوق محفوظة

الثمن ١٥ قرشًا

كامل كيلاني

عجائب القصص

مغامرات نونو

كل الحقوق محفوظة

دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع ثروت باشا رقم ١٢

مَكْتَبَةُ الْكيلانِى لِلْأَطْفالِ

مَجْموعاتُها : تُسايِرُ التِّلْميذَ فى نَحْوِ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ قِصَّةً، رائِعَةَ الصُّوَرِ، بَدِيعَةَ الْإِخْراجِ، مُتَدَرِّجَةً بِهِ مِنْ رِياضِ الْأَطْفالِ إِلَى خِتامِ التَّعْلِيمِ الثَّانَوِىِّ، ثُمَّ تُسْلِمُهُ إِلَى مَكْتَبَةِ الْكيلانِىِّ لِلشَّبابِ .

مادَّتُها : تُقَوِّمُ الْخُلُقَ وَتُرَبِّى الذِّهْنَ وَتُعَلِّمُ الْأَدَبَ .

فَنُّهـا : يَشُوقُ الْقارِئَ وَيُمْتِعُهُ ، وَيُحَبِّبُ الْكِتابَ إِلَيْهِ .

لُغَتُها : تُنَمِّى مَلَكَةَ التَّعْبِيرِ وَتَطْبَعُ اللِّسانَ عَلَى فَصِيحِ الْبَيانِ .

ثَوْرَةٌ رَشِيدَةٌ فِى عالَمِ التَّرْبِيَةِ . أَجْمَعَ عَلَى تَأْيِيدِها وُزَراءُ التَّرْبِيَةِ وَأَقْطابُ التَّعْلِيمِ وَقادَةُ الرَّأْيِ فِى الشَّرْقِ، وَكِبارُ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَعْلامُ التَّرْبِيَةِ فِى الْغَرْبِ .

أَوَّلُ مَكْتَبَةٍ عَرَبِيَّةٍ عُنِيَتْ بِتَنْشِئَةِ الطِّفْلِ عَلَى أَحْدَثِ أُسُسِ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ .

تَوالَتْ طَبَعاتُها الْعَرَبِيَّةُ ، فَتَثَقَّفَ بِها الْجِيلُ الْجَدِيدُ فِى بِلادِ الْعُرُوبَةِ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْها بَيْتٌ عَرَبِيٌّ .

تُرْجِمَتْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ اللُّغاتِ الشَّرْقِيَّةِ و الْغَرْبِيَّةِ .

مَدْرَسَةٌ حُرَّةٌ ، إِذا عَرَفَها التِّلْمِيذُ ، سَعَى إِلَيْها بِلا تَرْغِيبٍ وَلا تَرْهِيبٍ .

كانَتْ أَكْبَرَ أُمْنِيَّةٍ لِلآباءِ ، وَهِىَ الْيَوْمَ أَشْهَى غِذاءٍ ثَقافِىٍّ لِلْأَبْناءِ .

تُصْدِرُها أَكْبَرُ دُورِ النَّشْرِ فى الشَّرْقِ .

١ — فاتِحَةُ الْقِصَّةِ

أَيُّها الْعَزِيزُ الصَّغِيرُ :

اِخْتَرْتُ لَكَ هٰذِهِ الْأُسْطُورَةَ الْجَمِيلَةَ : أُسْطُورَةَ مُغامَراتِ « نُونُو » لِأَبْهَجَ بِها نَفْسَكَ ، وَأُمَتِّعَ قَلْبَكَ .

أَنا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتَفْرَحُ بِهٰذِهِ الْأُسْطُورَةِ ، وَتُعْجَبُ بِقِراءَتِها ، كَما فَرِحَ بِها وَأُعْجِبَ بِقِراءَتِها غَيْرُكَ مِنَ الْأَطْفالِ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بِلادِ الدُّنْيا ، عَلَى تَباعُدِ أَوْطانِهِمْ ، واخْتِلافِ لُغاتِهِمْ .

إِلَيْكَ الْأُسْطُورَةَ الْجَمِيلَةَ الَّتِي وَعَدْتُكَ بِها :

٢ — لَيْلَةُ شِتاءٍ

فِي إِحْدَى لَيالِي الشِّتاءِ ، بَدَأَتْ قِصَّةُ « نُونُو » بَطَلِ هٰذِهِ الْقِصَّةِ الْحَبِيبِ : صاحِبِ الْمُغامَراتِ الْعَجِيبَةِ ، والْحِيَلِ الْمُبْتَكَرَةِ الْغَرِيبَةِ .

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، كانَ الْبَرْدُ قارِسًا (شَدِيدًا) .

لَعَلَّها كانَتْ أَبْرَدَ لَيالِي الشِّتاءِ الَّتِي شَهِدَها سُكَّانُ ذٰلِكَ الْبَلَدِ الْوادِعِ الْأَمِينِ .

✲ ✲ ✲

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْبارِدَةِ ، كانَ أَحَدُ الْحَطَّابِينَ جالِسًا مَعَ زَوْجَتِهِ أَمامَ مَوْقِدِ النَّارِ .

كانَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ يَتَحَدَّثانِ عَلَى مَأْلُوفِ عادَتِهِما ، وَيَحْمَدانِ اللهَ عَلَى ما يَسَّرَ لَهُما مِنْ وَسائِلِ السَّعادَةِ وَأَسْبابِ الْهَناءِ .

٣ — حَياةٌ سَعِيدَةٌ

كانَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ يَنْعَمانِ بِالصِّحَّةِ والْعافِيَةِ وَهُدُوءِ الْبالِ ، وَيَقْضِيانِ أَيَّامَهُما وَلَيالِيَهُما فِي أَسْعَدِ حالٍ .

لَمْ يَشْكُ الْمَرَضَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ .

كانَ كِلاهُما مِثالًا كَرِيمًا يَقْتَدِي بِهِ الْجِيرانُ وَيُعْجَبُونَ بِأَخْلاقِهِ وَشَمائِلِهِ ، وَيَتَمَدَّحُونَ بِمَزاياهُ وَفَضائِلِهِ .



✲ ✲ ✲

كانَتْ زَوْجَةُ الْحَطَّابِ تَقْضِى أَوْقاتَ فَراغِها فِى شُئُونِ الْبَيْتِ وَغَزْلِ الْخُيُوطِ وَنَسْجِها وَالذَّهابِ بِها إِلَى السُّوقِ

حَيْثُ تَبِيعُها ، لِتُعاوِنَ زَوْجَها الْحَطَّابَ بِما تَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَنِها .

لَبِثَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ عَلَى هٰذِهِ الْحالِ الْهانِئَةِ سَنَواتٍ عَدِيدَةً مُتَعاقِبَةً .

٤ ــ حَدِيثٌ حَزِينٌ

ذاتَ لَيْلَةٍ :

جَلَسَ الزَّوْجانِ يَتَحَدَّثانِ عَلَى مَأْلُوفِ عادَتِهِما .

كانَ حَدِيثُهُما فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ غَيْرَ ما أَلِفاهُ مِنْ أَحادِيثِهِما الْمَرِحَةِ الشَّائِقَةِ ، فِي لَيالِيهِما السَّابِقَةِ .

كانَ حَدِيثًا جَدِيدًا عَلَيْهِما .

كانَ حَدِيثًا مَرِيرًا يَفِيضُ بِأَلْوانِ الْحَسْرَةِ وَفُنُونِ الأَلَمِ .

٥ ــ حِوارُ الزَّوْجَيْنِ

قالَتِ الزَّوْجَةُ فِي لَهْجَةٍ مَأْلُومَةٍ حَزِينَةٍ :

« ما أَسْوَأَ حَظَّنا ، وَأَشَدَّ شِقْوَتَنا ، وَأَتْعَسَ حَياتَنا ، وَأَفْدَحَ خَسارَتَنا ، وَأَقَلَّ أُنْسَنا وَبَهْجَتَنا !

شَدَّ ما يُؤْلِمُنا أَنْ نَقْضِىَ أَيَّامَنا وَحِيدَيْنِ ، وَنُمْضِىَ لَيالِيَنا مُنْفَرِدَيْنِ !

ما كانَ أَحْوَجَنا إِلَى وَلَدٍ يَبْهَجُ عَيْشَنا ، وَيُونِسُ بَيْتَنا ، وَيُشِيعُ فِى حَياتِنا ضِياءً وَنُورًا ، وَيَمْلَأُ قَلْبَيْنا أُنْسًا وحُبُورًا . »

أَجابَها الزَّوْجُ مُسْتَسْلِمًا :

« ذٰلِكِ تَقْدِيرُ ٱللهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ وَحِكْمَتُهُ ، وَتِلْكِ إِرادَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ ، لا حِيلَةَ فِى دَفْعِها ، وَلا قُدْرَةَ لَنا عَلَى تَبْدِيلِها .

ما أَجْدَرَنا أَنْ نُقابِلَها بِالرِّضَى وَالصَّبْرِ ، وَنَتَلَقَّاها بِالْحَمْدِ والشُّكْرِ . »

٦ — عالَمُ الْأَمانِىِّ

قالَتْ زَوْجَةُ الْحَطَّابِ :

« الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حالٍ .

أَنْتَ عَلَى حَقٍّ فِيما تَقُولُ .

عَلَى أَنَّنِى لا أَشْكُو قِسْمَنا فِى الْحَياةِ ، وَلا أَعْتَرِضُ عَلَى نَصِيبِنا مِنْ قَضاءِ ٱللهِ .

ذٰلِكَ شَىْءٌ بَعِيدٌ ، لا يَدُورُ بِذِهْنِ عاقِلٍ رَشِيدٍ .

إِنَّما هِىَ خَطْرَةٌ مِنَ الْأَمانِىِّ طافَتْ بِذِهْنِى فِى هٰذِهِ اللَّيْلَةِ فَلَمْ أَتَمالَكْ أَنْ أُفْضِىَ بِها إِلَيْكَ .

إِنَّ عالَمَ الرَّغَباتِ والْأَمانِىِّ — كَما تَعْلَمُ — طَلْقٌ رَحِيبٌ ، وَقاصِدُ اللهِ لا يَخِيبُ . »

قالَ الْحَطّابُ :

« صَدَقْتِ — يا عَزِيزَتِى — صَدَقْتِ .

الْحَقُّ فِيما قُلْتِ ، والصَّوابُ فِيما نَطَقْتِ .

لا اعْتِراضَ عَلَى ما تَقُولِينَ ، وَلا لَوْمَ عَلَيْكِ فِيما تَطْلُبِينَ . »

٧ — دُعاءُ الزَّوْجَةِ

قالَتْ زَوْجَةُ الْحَطّابِ :

« ما أَجْدَرَنا أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ — سُبْحانَهُ — بالدُّعاءِ ، وَصادِقِ الرَّجاءِ . »

قالَ الْحَطّابُ :

« فَضْلُ اللهِ قَرِيبٌ ، وَقاصِدُهُ لا يَخِيبُ . »

قالَتْ زَوْجَةُ الْحَطّابِ :

« اللّٰهُمَّ ياذا اللُّطْفِ والْمِنَنِ والسُّعُودِ ، والْكَرَمِ والْفَضْلِ والْجُودِ ، هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ طِفْلاً يُسَلِّيُنا ، وَيَبْهَجُ قَلْبَيْنا وَيُسْعِدُنا ، وَيُزِيلُ وَحْشَتَنا وَيُؤْنِسُنا .

فَضْلٌ مِنْكَ — يارَبِّ — أَىُّ فَضْلٍ ، لَوْ مَنَنْتَ عَلَيْنا بِطِفْلٍ : أَىِّ طِفْلٍ .

اللّٰهُمَّ ٱسْتَجِبْ لَنا ، وَحَقِّقْ دُعاءَنا ، وَٱمْنُنْ عَلَيْنا بِمَوْلُودٍ يُسْعِدُ حَياتَنا ، وَيُؤْنِسُ وَحْدَتَنا ، وَيُنَوِّرُ أَحْلامَنا ، وَلَوْ لَمْ يَزِدْ طُولُهُ عَلَى إِصْبَعِ إِبْهامِنا ! »

٨ — دُعاءُ الْحَطّابِ

لَمْ تَكَدْ زَوْجَةُ الْحَطّابِ تُتِمُّ هٰذا الدُّعاءَ ، حَتَّى قالَ الْحَطّابُ ، وَهُوَ يَرْفَعُ كِلْتا يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ :

« آمِينَ آمِينَ . اللّٰهُمَّ ٱسْتَجِبْ لَها يا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ، وَمَلْجَأَ الْقاصِدِينَ ، وَأَمانَ الْخائِفِينَ .

اللّٰهُمَّ حَقِّقْ دُعاءَها وَدُعائِى ، وَلا تُخَيِّبْ رَجاءَها وَرَجائِى . »

٩ — إِصْبَعُ الْإِبْهامِ

قالَتْ زَوْجَةُ الْحَطَّابِ:

« لَوْ رَزَقَنِىَ اللّٰهُ بِطِفْلٍ فِى مِثْلِ إِصْبَعِ الْإِبْهامِ ، لَتَمَّتْ بِهِ الْأَمانِىُّ، وَتَحَقَّقَتِ الْأَحْلامُ ! »

قالَ الْحَطّابُ :

« قَلْبِى يُحَدِّثُنِى أَنَّ اللّٰهَ — سُبْحانَهُ — مُسْتَجِيبٌ لِدُعائِنا ، مُحَقِّقٌ لِأُمْنِيَّتِنا وَرَجائِنا .

قَلْبِى يُحَدِّثُنِى أَنَّ اللّٰهَ لَنْ يَضَنَّ عَلَيْنا بِوَلِيدٍ نَغْمُرُهُ بِعَطْفِنا ، وَنُفْرِدُهُ بِمَحَبَّتِنا وإِعْزازِنا . »

١٠ — دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ

كانَتْ لَيْلَةً لا تُنْسَى : كانَتْ دَعْوَةً صادِرَةً مِنْ زَوْجَيْنِ كَرِيمَيْنِ ، وَقَلْبَيْنِ طاهِرَيْنِ .

سُرْعانَ ما حَقَّقَ اللّٰهُ لِلزَّوْجَيْنِ دُعاءَهُما ، وَلَمْ يُخَيِّبْ رَجاءَهُما .

كانَتْ رَغْبَةً مُجابَةً ، وَدَعْوَةً مُسْتَجابَةً .

١١ — بَعْدَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ

لَمْ يَكَدْ يَنْقَضِى عَلَى دَعْوَتِهِما تِسْعَةُ أَشْهُرٍ حَتَّى رَزَقَهُما اللهُ الطِّفْلَ الَّذِى طَلَباهُ ، وَفْقَ ما أَراداهُ وَتَمَنَّياهُ .

كانَ وَلِيدُهما صَغِيرًا . كانَ صغِيرًا جِدًّا .

كانَ صَغِيرَ الْحَجْمِ قَصِيرَ الْقَدِّ ، لا يَزِيدُ — فِى طُولِهِ — عَلَى إِبْهامِ الْيَدِ !

لٰكِنَّ هٰذا الطِّفْلَ الْمُفْرِطَ فِى الضَّآلَةِ والصِّغَرِ ، الْمُتَناهِىَ فِى الْقَماءَةِ والْقِصَرِ ، كانَ آيَةَ دَهْرِهِ ، وَأُعْجُوبَةَ عَصْرِهِ .

كانَ — لِحُسْنِ الْحَظِّ — غايَةً فِى الذَّكاءِ وَحُسْنِ الْفَهْمِ ، وَوَفْرَةِ النَّشاطِ وَقُوَّةِ الْجِسْمِ .

١٢ — فَرْحَةٌ وَحَسْرَةٌ

لا تَسَلْ عَنْ فَرَحِ الْحَطّابِ وَزَوْجَتِهِ بِمَوْلُودِهِما الصَّغِيرِ .

عَلَى أَنَّ فَرَحَهُما لَمْ يَكْتَمِلْ ، وَسَعادَتَهُما لَمْ تَتِمَّ .

كانَتْ فَرْحَةً مَمْزُوجَةً بِغُصَّةٍ وَأَلَمٍ ، وَبَهْجَةً مَشْفُوعَةً بِحَسْرَةٍ وَنَدَمٍ .

كانَ يَزِيدُ مِنْ فَرَحِهِما ، وَيُضاعِفُ مِنْ سَعادَتِهِما وَهَناءَتِهِما ، لَوْ أَنَّ طِفْلَهُما الْعَزِيزَ كانَ أَطْوَلَ مِنْ إِصْبَعِ الْإِبْهامِ وَلَوْ قَلِيلًا .

مَنْ يَدْرِى ؟

لَعَلَّهُما لَوْ طَلَبا ذٰلِكَ وَتَمَنَّياهُ ، لَاسْتَجابَ دُعاءَهُما اللّٰهُ .

* * *

قالَتْ زَوْجَةُ الْحَطّابِ :

« لَوْ كانَ وَلِيدُنا الْحَبِيبُ أَطْوَلَ قَلِيلًا مِنْ ذٰلِكَ ، لَتَحَقَّقَتْ بِهِ كُلُّ آمالِى وَآمالِكَ ! »

قالَ الْحَطّابُ :

« حَسْبُنا ما تَحَقَّقَ لَنا مِنْ آمالٍ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حالٍ .

ماذا تُرِيدِينَ ؟ وَعَلامَ تَعْتَرِضِينَ ؟

طَلَبْنا ، فَأَعْطانا اللّٰهُ طِلْبَتَنا . وَتَمَنَّيْنا ، فَحَقَّقَ اللّٰهُ أُمْنِيَّتَنا !

شُكْرًا لِلهِ ، وَحَمْدًا لَهُ عَلَى ما أَوْلاهُ !

ما أَعْظَمَ فَضْلَهُ وكَرَمَهُ ، وَأَوْفَرَ آلاءَهُ وَنِعَمَهُ ! »

قالَتِ الزَّوْجَةُ :

« لَوْ طَلَبْنا وَلَدًا كَسائِرِ الْأَوْلادِ ، لَتَمَّ لَنا الْمُرادُ .

وَلٰكِنْ هٰكَذا قَدَّرَ ٱللهُ وَأَرادَ ! »

قالَ الْحَطَّابُ :

« طَلَبْنا وَلِيدًا صَغِيرَ الْقَدِّ ، لا يَزِيدُ فِي طُولِهِ عَلَى إِبْهامِ الْيَدِ ؛ فَمَنَحَنا اللهُ ما طَلَبْنا ، وَحَقَّقَ لَنا ما أَرَدْنا . »

قالَتِ الزَّوْجَةُ :

« صَدَقْتَ — يا عَزِيزِى — صَدَقْتَ .

الصَّوابُ ما قُلْتَ ، والْحَقُّ ما نَطَقْتَ . »

قالَ الزَّوْجُ :

« حَسْبُنا ، أَنْ أَصْبَحَ لَنا وَلِيدٌ يَمْلَأُ بَيْتَنا ضِياءً وَنُورًا ، وَيُفِيضُ عَلَيْنا بَهْجَةً وَحُبُورًا ، بَعْدَ أَنْ كُنَّا نَعِيشُ وَحِيدَيْنِ ، وَنَقْضِى حَياتَنا مُنْفَرِدَيْنِ . »

١٣ — اِسْمُهُ « نُونُو »

جَلَسَ الزَّوْجانِ يَتَشاوَرانِ : أَىَّ ٱسْمٍ لِوَلِيدِهِما الْحَبِيبِ يَخْتارانِ ؟ !

قالَ الزَّوْجُ :

« إِنَّ وَلِيدَنا — كَما تَرَيْنَ — لا يَزِيدُ فِى طُولِهِ عَلَى إِصْبَعِ الْإِبْهامِ !

ماذا عَلَيْنا إِذا أَطْلَقْنا عَلَى هٰذا الْغُلامِ ، اسْمَ «إِبْهامٍ»؟ »

قالَتْ زَوْجَةُ الْحَطَّابِ :

« ماذا عَلَيْنا لَوْ سَمَّيْناهُ : نُونُو ! »

قالَ الْحَطَّابُ :

« ما أَجْمَلَ هٰذا الِاسْمَ وَأَظْرَفَهُ ! »

قالَتْ زَوْجَةُ الْحَطَّابِ :

«وَما أَعْذَبَ رَنِينَهُ عَلَى السَّمْعِ وَأَلْطَفَهُ ! »

هٰكَذا ٱجْتَمَعَ رَأْياهُما عَلَى أَنْ يَخْتارا اسْمَ : « نُونُو » لِوَلِيدِهِما الْحَبِيبِ .

١٤ — بَعْدَ أَعْوامٍ

مَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَتَعاقَبَتِ الشُّهُورُ والْأَعْوامُ .

عَبَثًا حاوَلَ الزَّوْجانِ أَنْ يَزِيدا فِى طُولِ «نُونُو» .

ضاعَفا لِوَلِيدِهِما الْغِذاءَ .

ضاعَ جُهْداهُما هَباءً ...

ظَلَّ « نُونُو » ثابِتًا عَلَى حالَتِهِ ، باقِيًا عَلَى هَيْئَتِهِ ، مُحْتَفِظًا بِقِصَرِ قامَتِهِ ، وَضَآلَةِ جِسْمِهِ وقَماءَتِهِ .

١٥ — مَزايا « نُونُو »

كانَ « نُونُو » — كَما قُلْتُ لَكَ — مَوْفُورَ الصِّحَّةِ بادِىَ الْفُتُوَّةِ ، مُكْتَمِلَ الْبَأْسِ والْقُوَّةِ .

كانَ عَزْمُهُ شَدِيدًا ، وَبَصَرُهُ حَدِيدًا .

كانَ صائِبَ الرَّأْىِ والْفَهْمِ .

كانَ قَوِىَّ الْإِرادَةِ نافِذَ الْعَزْمِ .

كانَ يَنْبَعِثُ من عَيْنَيْهِ لَأْلاءُ (ضَوْءٌ) غَرِيبٌ ، وَيَشِعُّ مِنْهُما نُورٌ عَجِيبٌ .

كانَ صادِقَ الْفِراسَـةِ مُرْهَفَ الْحِسِّ ، لا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا يَدُورُ حَوْلَهُ مِنَ الْجَهْرِ والْهَمْسِ .

كانَ لا يُطِيقُ الرَّاحَـةَ وَلا يَأْلَفُ الْكَسَلَ ، وَلا يَـكِلُّ مِنَ الْعَمَـلِ .

كانَ أَشْـبَهَ شَيْءٍ بِالنَّمْلَةِ والنَّحْـلَةِ :

ذَكاءَ فَهْـمٍ ، وَنَشاطَ حَـرَكَةٍ وَمَضاءَ عَـزْمٍ .

الفصل الثانى :

١ — بَيْنَ الْحَطَّابِ وَزَوْجَتِهِ



ذاتَ يَوْمٍ : كانَ الْحَطّـابُ يَتـأَهَّبُ (يَسْتَعِدُّ) لِلذّهابِ إِلَى الْغـابَةِ ، جارِيًا فِى ذٰلِكَ عَـلَى مَأْلُوفِ عادَتِهِ فِى كُلِّ صَباحٍ ؛

حَيْثُ يَقْطَعُ الْأَشْجارَ ، وَيَحمِلُها فِى مَرْكَبتِهِ إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ ، لِيَبِيعَها وَيَشْتَرِىَ بِثَمَنِها ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعامٍ وَكِساءٍ .

سَمِعَ « نُونُو » أَباهُ يَقُولُ لِزَوْجَتِهِ قُبَيْلَ خُرُوجِهِ :

« حانَ مَوْعِدُ الذَّهابِ إِلَى الْغابَةِ .

لَيْسَ لَدَىَّ — لِسُوءِ الْحَظِّ — وَقْتٌ أُعِدُّ فِيهِ مَرْكَبَتِى لِحَمْلِ ما أَقْطَعُهُ مِنْ خَشَبِ الْأَشْجارِ ، وَنَقْلِهِ إِلَى السُّوقِ.

لَيْتَ لِى مُساعِدًا يُعِدُّها وَيُحْضِرُها ! »

٢ — مُفاجَأَةٌ عَجِيبَةٌ

هُنا حَدَثَ ما لَيْسَ فِى الْحُسْبانِ.

كانَتْ مُفاجَأَةً عَجِيبَةً ، وَمُباغَتَةً غَرِيبَةً :

لا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْحَطَّابِ حِينَ سَمِعَ وَلَدَهُ « نُونُو » يَقُولُ لَهُ :

« ما أَيْسَرَ ما طَلَبْتَ !

لا تَحْزَنْ ، يا أَبِى ، وَلا يَقْلَقْ بالُكَ .

سَتَرَى كَيْفَ أُنْجِزُ طِلْبَتَكَ ، وَأُحَقِّقُ رَغْبَتَكَ .
خَبِّرْنِى قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ :
مَتَى وَأَيْنَ تُرِيدُ الْمَرْكَبَةَ ؟
كُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّنِى سَأُحْضِرُها إِلَيْكَ مَتَى شِئْتَ ، حَيْثُ شِئْتَ . »

٣ ــ دَهْشَةُ الْحَطَّابِ

دَهِشَ الْحَطَّابُ مِمَّا سَمِعَ .
لَمْ يَتَمالَكِ الْحَطَّابُ أَنْ يَضْحَكَ مِنْ حَدِيثِ « نُونُو » .
الْتَفَتَ « نُونُو » إِلَى أَبِيهِ مُسائِلًا :
« مِمَّ تَضْحَكُ ، يا أَبِى ؟
أَتَحْسَبُنِى غَيْرَ قادِرٍ عَلَى إِنْجازِ ما أَقُولُ ؟ »
أَجابَهُ الْحَطَّابُ مُتَعَجِّبًا :
« ما أَعْجَبَ ما تَقُولُ ، يا « نُونُو » !
خَبِّرْنِى بِرَبِّكَ : كَيْفَ تَسْتَطِيعُ ــ مَعَ صِغَرِ جِسْمِكَ ، وَضَآلَةِ حَجْمِكَ ــ أَنْ تَسُوقَ الْمَرْكَبَةَ ؟

خَبِّرْنِى: كَيْفَ تُمْسِكُ بِلِجامِ الْحِصانِ، أَيُّها الصَّغِيرُ الْعَزِيزُ؟ كَيْفَ تَقُودُهُ وَتَهْدِيهِ فِى طَرِيقِهِ إِلَى الْغابَةِ؟»

٤ — بَيْنَ «نُونُو» وَأَبِيهِ

اِبْتَدَرَهُ «نُونُو» قائِلًا:

«ما أَيْسَرَ هٰذا عَلَىَّ! لا يَقْلَقْ بالُكَ يا أَبِى.

سَأَسْتَعِينُ بِأُمِّى عَلَى تَحْقِيقِ طِلْبَتِكَ، وَإِنْجازِ رَغْبَتِكَ.

لَنْ أَطْلُبَ مِنْها أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُهَيِّئَ الْمَرْكَبَةَ، وَتَشُدَّ إِلَيْها الْحِصانَ، وَتَضَعَنِى فَوْقَ أُذُنِهِ.

ما أَيْسَرَ هٰذا عَلَى أُمِّى.

لَنْ يُعْجِزَنِى — بَعْدَ ذٰلِكَ — أَنْ أَتَعَلَّقَ بِأُذُنِهِ وَأُمْسِكَ بِلِجامِهِ، وَأَقُودَهُ فِى طَرِيقِهِ إِلَى الْغابَةِ.»

قالَ الْحَطَّابُ: «لَسْتُ أَسْتَكْثِرُ عَلَيْكَ شَيْئًا — يا «نُونُو» — بَعْدَ ما عَرَفْتُهُ مِنْ صِدْقِ عَزْمَتِكَ وَبُعْدِ هِمَّتِكَ وَمَوْفُورِ شَجاعَتِكَ، وَحِدَّةِ ذَكائِكَ وَبَراعَتِكَ.

لَكَ أَنْ تُحْضِرَ الْمَرْكَبَةَ ظُهْرَ الْيَوْمِ؛ إِنِ اسْتَطَعْتَ.»

٥ — السَّائِقُ الصَّغِيرُ



اِقْتَرَبَ الْمَوْعِدُ . أَعَدَّتْ زَوْجَةُ الْحَطَّابِ الْحِصَانَ وَشَدَّتْهُ إِلَى الْمَرْكَبَةِ .

رَفَعَتْ وَلِيدَها « نُونُو » - مُتَرَفِّقَةً بِهِ ، حانِيَةً عَلَيْهِ - بِإِحْدَى يَدَيْها إِلَى أُذُنِ الْحِصانِ ، وَأَسْلَمَتْهُ لِجامَهُ .

سُرْعانَ ما ظَهَرَتْ هِمَّةُ « نُونُو » وَصِدْقُ عَزِيمَتِهِ .

تَوَلَّى « نُونُو » قِيادَةَ الْمَرْكَبَةِ فِى مِثْلِ مَهارَةِ أَبِيهِ وَبَراعَتِهِ ، وَرَباطَةِ جَأْشِهِ (ثَباتِ قَلْبِهِ) وَشَجاعَتِهِ .

لَمْ يَزَلْ « نُونُو » سائِرًا بِها حَتَّى بَلَغَ الْغابَةَ فِى مَوْعِدِهِ .

حاوَلَ الْحِصانُ — أَوَّلَ الْأَمْرِ — أَنْ يَتَعَجَّلَ السَّيْرَ .

خَشِىَ « نُونُو » عاقِبَةَ الْعَجَلَةِ .

أَقْبَلَ عَلَى حِصانِهِ يُرَبِّتُهُ وَيُنادِيهِ :

« لا حاجَةَ إِلَى السُّرْعَةِ ، أَيُّها الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ !

تَمَهَّلْ فِى سَيْرِكَ وَاتَّئِدْ .

لا داعِىَ لِلْعَجَلَةِ .

لا يَزالُ أَمامَنا فُسْحَةٌ مِنَ الْوَقْتِ ، ياعَزِيزِى .

أَلَمْ تَسْمَعْ بِالْحِكْمَةِ الْقائِلَةِ :

« فِى الْعَجَلَةِ النَّدامَةُ ، وَفِى التَّأَنِّى السَّلامَةُ » ؟ »

٦ — دَهْشَةُ الْغَرِيبَيْنِ

كانَ « نُونُو » يُحدِّثُ حِصانَهُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعِ الْجَرْسِ . واضِحِ النَّبَراتِ .

كانَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَطَلِ قِصَّتِنا الصَّغِيرِ رَجُلانِ غَرِيبانِ ، عائِدانِ مِنَ الْغابَةِ .

رَأَيا فِي طَرِيقِهِما مَرْكَبَةً يَجُرُّها حِصانٌ بِغَيْرِ سائِقٍ !

اِسْتَوْلَتْ عَلَيْهِما الدَّهْشَةُ .

وَقَفا يَتَعَجَّبانِ مِمَّا رَأَيا .

سَمِعا بَعْدَ قَلِيلٍ صَوْتًا يُنادِي الْحِصانَ .

بَحَثا عَنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ، فَلَمْ يَهْتَدِيا إِلَيْهِ .

٧ — حِوارُ الْغَرِيبَيْنِ

ضاعَفَ مِنْ دَهْشَتِهِما أَنْ سَمِعا صَوْتَ « نُونُو » مَرَّةً أُخْرَى .

اِشْتَدَّ عَجَبُهُما مِمَّا شَهِدا وَسَمِعا .

ساوَرَهُما الشَّكُّ فَلَمْ يُصَدِّقا أُذُنَيْهِما .

خُيِّلَ إِلَيْهِما أَنَّهُما واهِمانِ أَوْ حالِمانِ .

قالَ أَحَـدُهُمـا لِصاحِبِهِ :

« أَتَسْـمَعُ ما أَسْـمَعُ ، أَمْ أَنَا واهِمٌ أَو حالِمٌ ؟ »

أَجابَهُ الآخَرُ :

« بَلْ أَنْتَ عَلَى حَقٍّ ــ يا أَخِي ــ فِيما تَقُولُ .

ما أَنْتَ بِواهِمٍ وَلا حالِمٍ .

إِنَّهُ صَـوْتُ إِنْسانٍ مِثْلِنـا .

لا شَـكَّ فِي ذٰلِكَ وَلا رَيْبَ . »

قالَ الْأَوَّلُ :

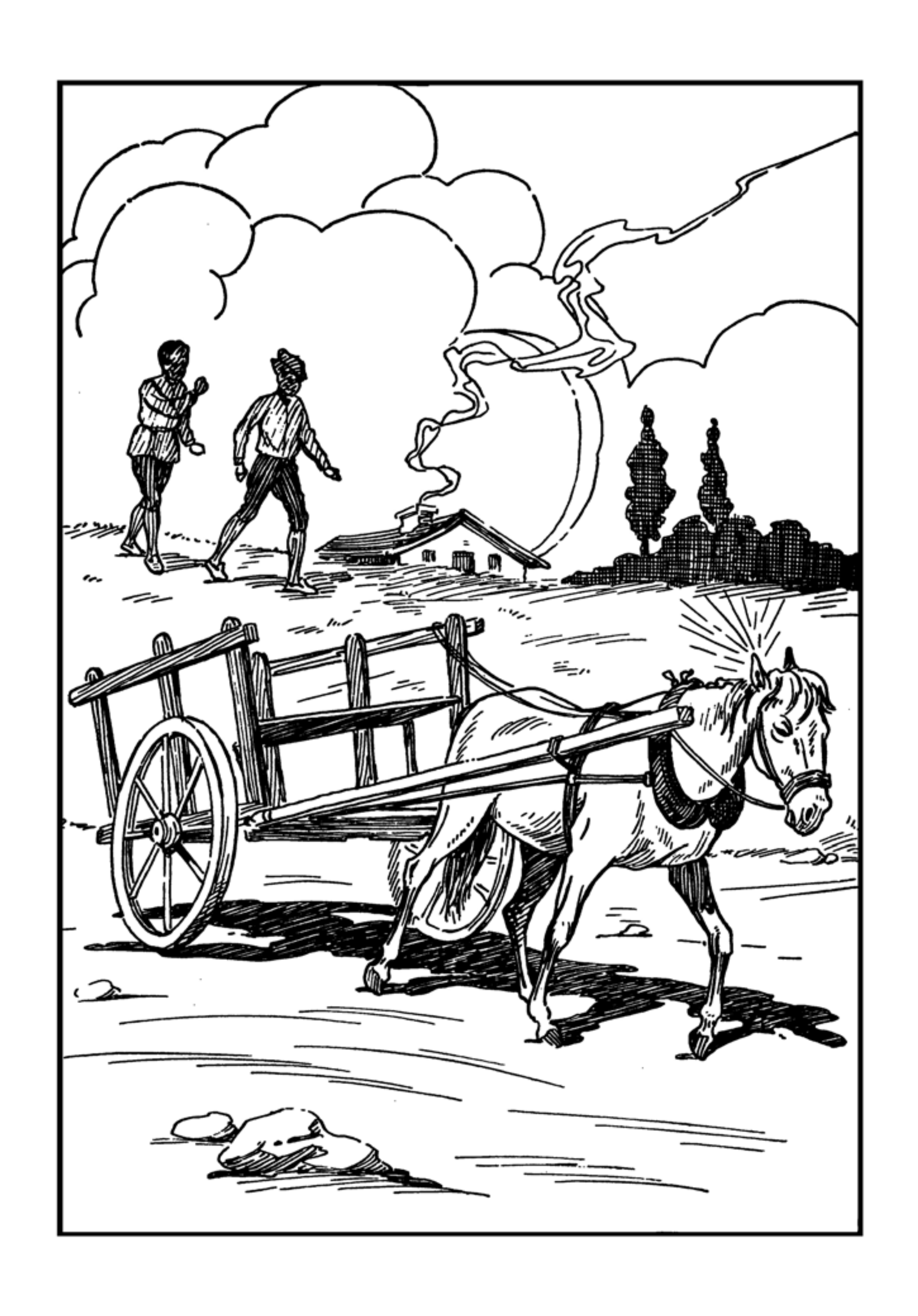
« تُرَى : أَيْنَ صاحِبُ الصَّوْتِ ؟ »

قالَ الآخَـرُ :

« لَسْتُ أَرَى لَهُ أَثَرًا ! »

قالَ الْأَوَّلُ :

« كُنْتُ أَعْجَبُ حِينَ رَأَيْتُ الْمَرْكَبَةَ تَسِيرُ بِلا حِصانٍ ، ثُمَّ اشْـتَدَّ عَجَبِي حِينَ سَمِعْتُ صَوْتَ إِنْسـانٍ يَنْبَعِثُ مِنَ الْمَـرْكَبَةِ ، دُونَ أَنْ أَرَى لَهُ أَثَرًا ! »



قالَ الآخَرُ :

« هٰذا لُغْزٌ مُحَيِّرٌ .

هَلُمَّ نَتْبَعِ الْمَرْكَبَةَ ، لَعَلَّنا نَهْتَدِي إِلَى حَلِّ الطِّلَّسْمِ الْغامِضِ . »

٨ – خَلْفَ الْمَرْكَبَةِ

اِسْتَأْنَفَ الرَّجُلانِ سَيْرَهُما خَلْفَ الْمَرْكَبَةِ حَتَّى بَلَغَتْ مَكانَ الْحَطَّابِ في الْغابَةِ .

وَصَلَ « نُونُو » إِلَى أَبِيهِ في مَوْعِدِهِ .

لَمْ يَكَدْ « نُونُو » يَرَى أَباهُ حَتَّى صاحَ مُنادِيًا :

« هأَنَذا ، يا أَبِي ، أَحْضُرُ إِلَيْكَ سَلِيمًا مُعافًى مِنْ غَيْرِ سُوءٍ .

هاهِيَ ذِي مَرْكَبَتُكَ سالِمَةً مُعَدَّةً لِحَمْلِ ما قَطَعْتَهُ مِنَ الْخَشَبِ، والذَّهابِ بِهِ إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ .

لَعَلَّكَ تَرْضَى يا أَبِي . »

٩ – شُكْرٌ وَرَجاءٌ

اِبْتَهَجَ الْحَطَّابُ بِما سَمِعَ .

شَكَرَ « نُونُو » عَلَى ذَكائِهِ وَبَراعَتِهِ ، وَصِدْقِ عَزِيمَتِهِ وَشَجاعَتِهِ .

اِبْتَدَرَهُ « نُونُو » قائِلًا :

« لِي حاجَةٌ عِنْدَكَ ، يا أَبِي :



أَرْجُو أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِى لِأَهْبِطَ سالِمًا.»

أَسْرَعَ الْحَطَّابُ إِلَى حِصانِهِ فَقَبَضَ عَلَى لِجامِهِ بِيُسْراهُ، وَتَلَقَّفَ «نُونُو» بِيُمْناهُ، ثُمَّ وَضَعَهُ مُتَرَفِّقًا عَلَى الْأَرْضِ.

جَلَسَ بَطَلُ قِصَّتِنا الْحَبِيبُ « نُونُو » فَرْحانَ مُبْتَهِجًا ، يَحْمَدُ ٱللهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ فِى تَحْقِيقِ طِلْبَةِ أَبِيهِ وَإِنْجازِ رَغْبَتِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ .

١٠ — أُعْجُوبَةُ الْأَعاجِيبِ

كانَ الْغَرِيبانِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ هٰذا الْمَشْهَدِ الْعَجِيبِ .

كانا يُراقِبانِ ما حَدَثَ ، وَيُتابِعانِ حِوارَ « نُونُو » مَعَ أَبِيهِ ، والْعَجَبُ آخِذٌ مِنْهُما كُلَّ مَأْخَذٍ .

كانَتِ الدَّهْشَةُ تَعْقِدُ لِسانَيْهِما فَتُعْجِزُهُما عَنِ الْكَلامِ .

كانا شِبْهَ حالِمَيْنِ .

كادا — لِفَرْطِ دَهْشَتِهِما — يَشُكّانِ فِيما يَنْظُرانِ ، وَلا يُصَدِّقانِ ما يَسْمَعانِ .

* * *

بَعْدَ قَلِيلٍ ، أَفاقَ الرَّجُلانِ مِنْ دَهْشَتِهِما ، وَتَجَلَّتِ الْحَقِيقَةُ أَمامَ أَعْيُنِهِما .

اِبْتَدَرَ أَحَدُهُما صاحِبَهُ هامِسًا :

« مَنْ كانَ يُصَدِّقُ أَنْ يوجَدَ — فِي الدُّنْيا — قَزَمٌ فِي مِثْلِ هٰذا الْقَدِّ ، لا يَزِيدُ فِي طُولِهِ عَلَى إِبْهامِ الْيَدِ ؟

مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنَّ مِثْلَ هٰذا الْقَزَمِ الضَّئِيلِ قادِرٌ عَلَى إِتْيانِ مِثْلِ هٰذِهِ الْأَعْمالِ ؟

إِذا صَحَّ أَنَّهُ إِنْسِيٌّ ؛ فَهُوَ — بِلا رَيْبٍ — إِحْدَى عَجائِبِ هٰذا الزَّمانِ ! »

أَجابَهُ الآخَرُ :

« صَدَقْتَ ، يا أَخِي . إِنَّهُ أُعْجُوبَةُ الْأَعاجِيبِ ؛ فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ . »

قالَ الْأَوَّلُ :

« لَوْ ظَفِرْنا بِهٰذا الْقَزَمِ الْمُتَناهِي فِي الضَّآلَةِ والصِّغَرِ لَأَصْبَحَ لَنا مَصْدَرَ ثَرْوَةٍ طائِلَةٍ . »

قالَ الآخَرُ :

« لا رَيْبَ فِيما تقُولُ .

نَسْتَطِيعُ إذا اشْتَرَيْناهُ أَنْ نَطُوفَ بِهِ أَنْحاءَ الْعالَمِ ، مُتَنَقِّلَيْنِ مِنْ بَلَدٍ إلَى بَلَدٍ ؛ لِنَعْرِضَهُ عَلَى النَّاسِ . »

قالَ الْأَوَّلُ :

« لا بُدَّ أَنْ نَبْذُلَ كُلَّ جَهْدٍ فِى شِرائِهِ ، كَلَّفَنا ذٰلِكَ ما كَلَّفَنا مِنْ جَهْدٍ وَمال . »

قالَ الآخَرُ :

« صَدَقْتَ — يا أَخِى — صَدَقْتَ . الرَّأْىُ ما رَأَيْتَ ، وَالصَّوابُ ما نَطَقْتَ . »

١١ — اِقْتِراحٌ جَرِىءٌ

ذَهَبَ الْغَرِيبانِ إِلَى الْحَطَّابِ . اِبْتَدَراهُ بِالتَّحِيَّةِ والسَّلامِ .

رَدَّ الْحَطَّابُ تَحِيَّتَهُما فِى بِشْرٍ وابْتِسامٍ .

تَوَجَّها إِلَيْهِ بِالرَّجاءِ، أَنْ يَبِيعَهُما غُلامَهُ الذَّكِىَّ بِأَىِّ ثَمَنٍ شاءَ .

✲ ✲ ✲

حَسِبَهُما الْحَطَّابُ يَمْزَحانِ أَوَّلَ الْأَمْرِ .

ظَهَرَ الْغَضَبُ عَلَى وَجْهِ الْحَطَّابِ حِينَ سَمِعَ ما قالاهُ .

أَعْرَضَ عَنْ إجابَتِهِما . أَبَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِما .

اِسْتَأْنَفَ الْغَرِيبانِ الرَّجاءَ .

قالَ الْغَرِيبانِ : « كُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ غُلامَكَ هٰذا سَيَحْمَدُ صُحْبَتَنا ، وَسَيُصْبِحُ مَعَنا أَسْعَدَ مَخْلُوقٍ فِي الْعالَمِ . »

ضَجِرَ الْحَطَّابُ بِإِلْحاحِهِما .

حاوَلا إِغْراءَهُ بِدَفْعِ ما يَطْلُبُ مِنْ مالٍ ، بالِغًا ما بَلَغَ .

اِشْتَدَّ غَضَبُ الْحَطَّابِ ، وَأَصَرَّ عَلَى رَفْضِ طَلَبِهِما .

لَمْ يَلْبَثْ أَنْ ضاقَ بِإِلْحاحِهِما وَلَجاجِهِما .

نَظَرَ إِلَيْهِما عابِسًا مُتَجَهِّمًا . قالَ لَهُما ضَيِّقَ الصَّدْرِ مُتَبَرِّمًا :

« هَلَّا كَفَفْتُما عَنْ مُزاحِكُما الثَّقِيلِ .

كَيْفَ أَبِيعُ وَلَدِى ، وهُوَ أَعَزُّ إِنْسانٍ عِنْدِى ؟!

أَلَا تَعْلَمانِ أَنَّهُ أَغْلَى مِنْ كُنُوزِ الدُّنْيا كُلِّها .

هَيْهاتَ هَيْهاتَ ما تَطْلُبانِ .

كَلَّا . كَلَّا . لَنْ أَبِيعَهُ ، وَلَوْ أَعْطَيْتُمانِى مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا . »

١٢ — اِقْتِراحُ « نُونُو »

كانَ « نُونُو » - فِى هٰذِهِ اللَّحْظَةِ - يَسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِ الْغَرِيبَيْنِ ، وَيُرْهِفُ أُذُنَيْهِ لِما يَدُورُ بَيْنَهُما وَبَيْنَ أَبِيهِ مِنْ حِوارٍ عاصِفٍ صاخِبٍ .

رَأَى « نُونُو » فِيما يَعْرِضُهُ الْغَرِيبانِ — مِنْ أَمْوالٍ طائِلَةٍ — فُرْصَةً نادِرَةً تَعُودُ عَلَى أَبِيهِ بِالْغِنَى .

لَمْ يَشَأْ « نُونُو » أَنْ يُفْلِتَ هٰذِهِ الثَّرْوَةَ الطّائِلَةَ مِنْ يَدِ أَبِيهِ .

تَسَلَّلَ « نُونُو » إِلَى مِعْطَفِ أَبِيهِ . . .

بَذَلَ « نُونُو » جُهْدَهُ حَتَّى صَعِدَ إِلَى كَتِفِهِ ، ثُمَّ هَمَسَ فِى أُذُنِهِ قائِلًا :

« نَصِيحَتِى إِلَيْكَ - يا أَبِى - أَلَّا تُفْلِتَ هٰذِهِ الْفُرْصَةَ النّادِرَةَ مِنْ يَدَيْكَ .

إِنَّها صَفْقَةٌ رابِحَةٌ ، جَدِيرَةٌ أَنْ تَنْتَهِزَها .

حَذارِ - يا أَبِى - أَنْ تُضَيِّعَها .

حَـذارِ ــ يا أَبِى ــ أَنْ تـتَرَدَّدَ فِى مُوافقَتِهِـما ، والْأَخْذِ بِاقْـتِراحِهِـمـا .

دَعْـنِى وَإِيَّاهُما .

لا تَخْشَ عَـلَىَّ مِنْ صُحْبَتِهِـما .

لَنْ يَنـالَنِى ــ بِإِذْنِ اللهِ ــ سُوءٌ مِنْهُما .

لَنْ تَطُولَ غيْبَتِى عَنْكَ ، وَعَوْدَتِى إِلَيْكَ .

سَـتَرَى ــ بَعْدَ قَلِيـلٍ ــ كَيْفَ أَضْحَكُ بِهِما ، وَأَهْرُبُ مِنْهُما ، وأَنْتَصِرُ عَلَيهِما . »

١٣ ــ إِتْمـامُ الصَّفْقَةِ

كانَ الْحَطَّابُ واثِـقًا بِذَكاءِ وَلَدِهِ وَفِطْنَتِـهِ ، وَصِدْقِ فِراسَتِهِ .

كانَ واثِقًـا مِنْ بَراعَتِـهِ ، وَحُسْنِ حِيلَتِـهِ .

كَـفَّ الْحَطّـابُ عَنْ إِصْرارِهِ وَتَشَبُّثِـهِ .

اِنْتَهتِ الْمُساوَمَـةُ بِإِتْمامِ الصَّفْقَةِ .

دَفَـعَ لَهُ الْغَرِيبـانِ مِائَةَ دِينـارٍ ذَهَبًـا ، لِيَتَخَـلَّى لَهُما عَنْ وَلَدِهِ الْحَبِيبِ : « نُونُو » .

تَأَهَّبَ الْغَرِيبانِ لِلرَّحِيلِ .

أَقْبَلَ « نونُو » عَلَى أَبِيهِ يُوَدِّعُهُ وَيُحَمِّلُهُ — إِلَى أُمِّهِ الْعَزِيزَةِ — تَحِيَّةً مُعَطَّرَةً ، مَمْزُوجَةً بِسُكَّرَةٍ .

١٤ — عَلَى رَفْرَفِ قُبَّعَةٍ

الْتَفَتَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ إِلَى « نُونُو » قائِلًا :

« ما أَظُنُّكَ تَقْوَى عَلَى السَّيْرِ مَعَنا فِي سَفَرِنا الطَّوِيلِ ، أَيُّها الْقَزَمُ الْعَزِيزُ ؟ فَهَلْ يَسُرُّكَ أَنْ نَحْمِلَكَ حَتَّى تَتِمَّ رِحْلَتَنا ، وَنَبْلُغَ غايَتَنا ؟ »

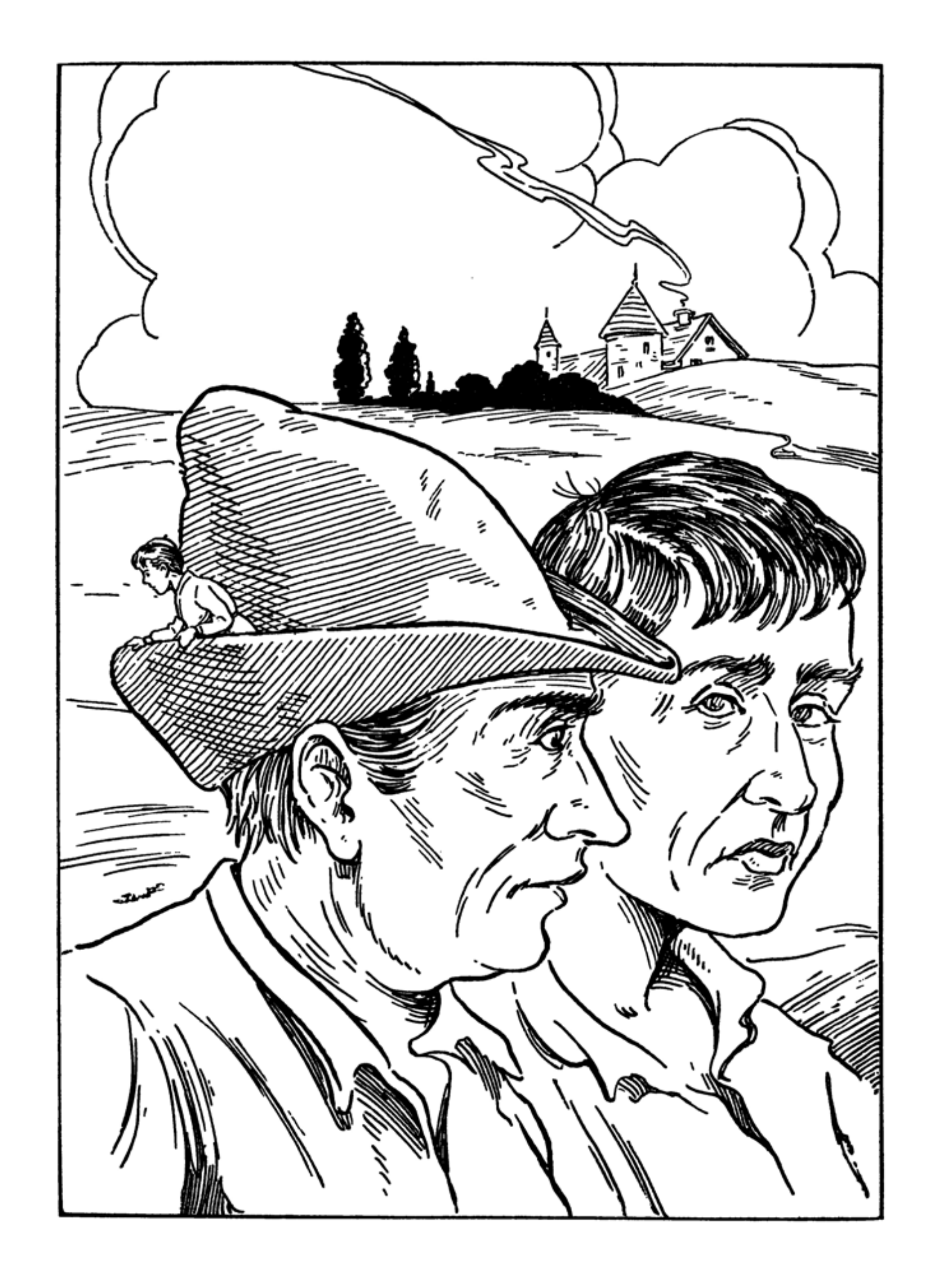
أَجابَهُ « نُونُو » :

« شُكْرًا لَكَ - أَيُّها السَّيِّدُ الْكَرِيمُ - عَلَى اقْتِراحِكَ . »

سَأَلَهُ الرَّجُلُ :

« خَبِّرْنِي ، أَيُّها الصَّغِيرُ الذَّكِيُّ : كَيْفَ نَحْمِلُكَ ، وَفِي أَيِّ مَكانٍ تُرِيدُ أَنْ نَضَعَكَ ؟

لَعَلَّ خَيْرَ مَكانٍ تَرْتَضِيهِ ، وَتَرْتاحُ فِيهِ ؛ هُوَ جَيْبِي أَوْ جَيْبُ صاحِبِي . فَأَيُّهُما تَخْتارُ ؟ »



أَجابَهُ « نُونُو » : « شُكْرًا لَكَ عَلَى ما خَصَصْتَنِي بِهِ مِن اهْتِمامٍ وَعِنايَةٍ ، وَما غَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ لُطْفٍ وَرِعايَةٍ .

لَسْتُ أَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنَ الْبَقاءِ عَلَى رَفْرَفِ قُبَّعَةِ أَحَدِكُما .

قَالَ الرَّجُـلُ :

« ما أَهْوَنَ ما سَأَلْتَ ، وَأَيْسَرَ ما طَلَبْتَ ! »

١٥ — رِحْلَةٌ طَوِيلَةٌ

أَسْرَعَ الرَّجُلُ إِلَى « نُونُو » : بَطَلِ قِصَّتِنا الْحَبِيبِ ، فَرَفَعَهُ مُتَرَفِّقًا وَأَجْلَسَهُ عَلَى حافَةِ قُبَّعَتِهِ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الرِّحْلَةَ مَعَ صاحِبِهِ .

ظَلَّ الرَّجُـلانِ يَجِـدَّانِ فِى سَيْرِهِما ، حَتَّى أَشْرَفَتِ الشَّمْسُ عَـلَى الْغُـرُوبِ .

شَعَرَ « نُونُو » بِالتَّعَبِ بَعْـدَ أَنْ جَهَـدَهُ طُولُ السَّفَرِ .

شَـكا « نُونُو » إِلَى حامِـلِهِ ما لَقِيَـهُ مِنْ عَنـاءٍ وَمَشَقَّةٍ فِى تِلْكَ الرِّحْـلَةِ الْمُتْعِبَـةِ الشَّاقَّـةِ .

أَجابَهُ الرَّجُلُ :

« لَكَ ما تُرِيدُ ،يا « نُونُو » . الْحَـقُّ مَعَـكَ .

لا بُدَّ أَنْ نَرْتاحَ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْنِفَ رِحْلَتَنا الطَّوِيلَةَ . »

حَمَـلَهُ الرَّجُـلُ بينَ إِصْبَعَيْـهِ مُتَرَفِّقًـا ،وَأَعادَهُ إِلَى الْأَرْضِ سالِمًـا .

١٦ ـــ حَـــدِيثٌ هامِسٌ

جَلَسَ الرَّجُلانِ يَسْتَرِيحانِ وَيَتَحَدَّثانِ .

طـالَتْ مُناقَشَتُهُما ، وَتَشَعَّبَ حَـدِيثُهُما .

كانَ « نُونُو » يَجْلِسُ عَـلَى مَسافَـةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ مِنْهُما ، وَيُصْغِى إِلَى حَـدِيثِهِـما .

كانَ الرَّجُـلانِ يَتَحَـدَّثانِ بِصَوْتٍ خافِتٍ .

كانَ « نُونُو » يَقِظًا مُرْهَفَ السَّمْـعِ .

لَمْ يَفُتْ « نُونُو » شَىْءٌ مِمَّـا قالا .

كانَ الْخَبِيثـانِ يَأْتَمِرانِ بِهِ .

كانا يَعْتَزِمانِ أَنْ يَطُوفا بِهِ الْمَدائِنَ وَالْقُرَى لِيَعْرِضاهُ فِى أَسْواقِها وَمَيادِينِهـا ، وَيَـكْسِبـا ـ مِنْ عَـرْضِـهِ ـ أَمْـوالًا طـائِلَةً ، ثُمَّ يَبِيعاهُ لِتُجّـارِ الرَّقِيقِ فِى خِتـامِ الرِّحْلَةِ .

✲ ✲ ✲

عَرَفَ « نُونُو » ما يُضْمِرُهُ الْخَبِيثـانِ الْغـادِرانِ مِنْ طَمَعٍ وَأَنانِيَّـةٍ ، وَسُـوءِ نِيَّـةٍ .

١٧ — فِي حَقْلٍ زارِعٍ

كانَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُما حَقْلٌ فَسِيحٌ حَرَثَهُ صاحِبُهُ وَسَقاهُ.

شَهِدَ «نُونُو» ما خَلَّفَهُ الْمِحْراثُ فِي أَرْضِ الْحَقْلِ مِنْ شُقُوقٍ وَأَخادِيدَ.

خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ بارِعَةٌ لِلْخَلاصِ مِنْ كَيْدِهِما، والِانْطِلاقِ مِنْ أَسْرِهِما.

اِنْتَهَزَ «نُونُو» غَفْلَةً مِنَ الْخَبِيثَيْنِ. تَسَلَّلَ «نُونُو» إِلَى الْحَقْلِ، دُونَ أَنْ يَشْعُرا بِهِ، أَوْ يَفْطُنا إِلَيْهِ.

مَشَى خُطُواتٍ قَلِيلَةً فِي الْحَقْلِ الْمُبَلَّلِ الْمَحْرُوثِ.

كانَتْ خُطُواتُهُ بَطِيئَةً.

كانَتْ قَدَماهُ الصَّغِيرَتانِ تَغُوصانِ فِي الْحَقْلِ وَتَنْزَلِقانِ فِي الْوَحَلِ.

لَمْ يَلْبَثْ «نُونُو» أَنْ تَوَقَّفَ عَنِ السَّيْرِ.

اِعْتَرَضَ طَرِيقَهُ أُخْدُودٌ (شِقٌّ طَوِيلٌ) مِمَّا خَلَّفَهُ الْمِحْراثُ فِي الْأَرْضِ.

بَذَلَ « نُونُو » جُهْـدًا كَبِيرًا حَتَّى تَخَطَّى الْأُخْدُودَ .

اِسْتَأْنَفَ « نُونُو » سَيْرَهُ فِى الْحَقْلِ .

مَشَى خُطُواتٍ قَلِيـلَةً .

لَمْ يَلْبَثْ أَنِ اعْتَرَضَهُ أُخْدُودٌ جَـدِيدٌ .

بَذَلَ « نُونُو » جُهْدًا كَبِيرًا لِلْخُـرُوجِ مِنْهُ .

١٨ — الْأُخْدُودُ الثَّالِثُ

كانَ « نُونُو » — كَما قُلْتُ لَكَ — شُجاعًا لا يَعْرِفُ مَعْنَى الْيَـأْسِ ، ولا يَتَسَرَّبُ إِلَى نَفْسِـهِ الضَّعْفُ .

ضـاعَفَ « نُونُو » مِنْ عَـزِيمَتِهِ حَتَّى اجْتـازَ الْعَقَبَـةَ وَخَرَجَ مِنَ الْأُخْدُودِ سالِمًا .

حَمِدَ اللّٰهَ عَلَى ما أَظْفَرَهُ بِهِ مِنْ نَجاحٍ وَتَوْفِيقٍ .

واصَـلَ « نُونُو » سَـيْرَهُ فِى الْحَقْلِ .

لَمْ يَكَـدْ يَمْشِى خُطُواتٍ قَلِيـلَةً حَتَّى زَلِقَتْ قَدَمُـهُ .

فِى هٰذِهِ الْمَرَّةِ ، سَقَطَ « نُونُو » فِى أُخْدُودٍ ثالِثٍ ، انْتَهَى بِهِ إِلَى جُحْـرٍ صَغِيرٍ .

١ — ساكِنُ الْجُحْرِ

كانَ يَسْكُنُ الْجُحْرَ الصَّغِيرَ، فَأْرٌ ذَكِيٌّ، اسْمُهُ : «فُوَيْرَةُ».

كانَ «فُوَيْرَةُ» يَعِيشُ فِي جُحْرِهِ الصَّغِيرِ حَياةً وادِعَةً، خالِيَةً مِنَ الْمَتاعِبِ والْأَخْطارِ.

فِي ضُحَى الْيَوْمِ السَّابِقِ، فارَقَ «فُوَيْرَةُ» جُحْرَهُ الْحَبِيبَ: فارَقَهُ إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ.

أَراكَ تَسْأَلُنِي :

لِماذا فارَقَ جُحْرَهُ الْحَبِيبَ إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ ؟

إِلَيْكَ جَوابَ سُؤالِكَ :

٢ — فِي ضُحَى الْأَمْسِ

لَمْ يُفارِقْ «فُوَيْرَةُ» الْجُحْرَ بِاخْتِيارِهِ، بَلْ فارَقَهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُ.

كانَ «فُوَيْرَةُ» يُحِبُّ جُحْرَهُ الصَّغِيرَ، كَما يُحِبُّ كُلُّ إِنْسانٍ وَطَنَهُ الْحَبِيبَ.

فِى ضُحَى الْأَمْسِ ، وَجَدَ « فُوَيْرَةُ » نَفْسَهُ أَمامَ شَرَّيْنِ ، لا ثالِثَ لَهُما : خطَرٍ قاتِلٍ ، أَوْ جَلاءٍ عاجِلٍ .

أَراكَ تَسْأَلُنِى :

أَىُّ خَطَرٍ قاتِلٍ تَعَرَّضَ لَهُ « فُوَيْرَةُ » ؟

إِلَيْكَ قِصَّتَهُ الْباكِيَةَ الْحَزِينَةَ ، وَمَأْساتَهُ الْفاجِعَةَ الْأَلِيمَةَ :

٣ — فِى عالَمِ الْأَحْلامِ

كانَ « فُوَيْرَةُ » يَعِيشُ مُنْذُ نَشاءَتِهِ ، فِى جُحْرِهِ الْحَبِيبِ - كَما قُلْتُ لَكَ - حَيْثُ يَقْضِى أَوْقاتَ راحَتِهِ راضِىَ النَّفْسِ ، مَوْفُورَ الْأُنْسِ .

ظَلَّ « فُوَيْرَةُ » عَلَى هٰذِهِ الْحالِ ، حَتَّى جاءَ ضُحَى الْيَوْمِ السَّابِقِ .

كانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ أَبْهَجَ أَوْقاتِهِ ، وَأَسْعَدَ أَيَّامِ حَياتِهِ .

كانَ « فُوَيْرَةُ » - حِينَئِذٍ - نائِمًا فِى جُحْرِهِ الْحَبِيبِ .

كانَ مُسْتَغْرِقًا فِى حُلْمٍ جَمِيلٍ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ مَثِيلًا - مِنْ قَبْلُ - فِى أَحْلامِهِ الْماضِيَةِ .

٤ — حُلْمُ جائِعٍ

رَأَى « فُـوَيْرَةُ » نَفْسَهُ فِى مَطْبَخٍ فاخِـرٍ ، حافِلٍ بِلَذائِذِ الطَّعامِ : مِنْ جُبْنٍ وَشَطـائِرَ ، وَكَعْكٍ وَفَطـائِرَ .

تَمَـلَّكَ « فُـوَيْرَةَ » الْفَرَحُ ، واشْـتَدَّ بِهِ الْمَـرَحُ .

بَرِقَتْ ـ مِنَ الدَّهَشِ ـ عَيْناهُ ، فَلَمْ يَـكَدْ يُصَدِّقُ ما يَراهُ .

أَقْبَلَ « فُـوَيْرَةُ » عَلَى الطَّعامِ إِقْبـالَ الْجائِـعِ الْمَحْرُومِ ، وانْدَفَعَ إِلَيْـهِ انْدِفاعَ الشَّرِهِ الْمَنْهُومِ !

٥ — فَـتـاةُ الـنَّمْلِ

حانَتْ مِنْ « فُـوَيْرَةَ » الْتِفاتَةٌ ، فَرَأَى صاحِبَتَـهُ « نُمَيْـلَةَ » فِى رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ الْمَطْبَخِ .

كانَتْ فَتـاةُ النَّمْـلِ ـ حِينَئِذٍ ـ تَرْتَشِـفُ عَصِـيرَ بُرْقُوقَـةٍ ناضِجَـةٍ لَذِيذَةِ الطَّعْمِ .

كانَتْ تَمْتَصُّ عَصِـيرَ الْـبُرْقُـوقَـةِ فِى مَـرَحٍ وَسُرُورٍ ، وابْتِهـاجٍ وَحُبُـورٍ .

لا تَسَـلْ عَنْ فَرْحَـةِ « فُـوَيْرَةَ » ، حِـينَ رَأَى فَتـاةَ

النَّمْـلِ ماثِلَةً أَمامَهُ .

كانَتْ « نُمَيْـلَةُ » مِنْ أَعـزِّ أَصْحـابِهِ ، وَأَحَبِّهِمْ إِلَيْـهِ ، وَأَكْثَرِهِمْ عَطْفًـا عَلَيْـهِ .

كانَ « فُـوَيْرَةُ » شَـدِيدَ الشَّـوْقِ إِلَى لِقـاءِ « نُمَيْـلَةَ » ، كَـما كانَتْ « نُمَيْـلَةُ » شَـدِيدَةُ الشَّـوْقِ إِلى لِقـائِهِ .

أَقْبَلَتْ « نُمَيْلَةُ » عَلَى « فُـوَيْرَة » تُحَيِّيهِ ، وَتُعْلِنُ اشْتِياقَها إِلَيْـهِ ، كـما أَقْبَـلَ « فُـوَيْرَةُ » عَلَى « نُمَيْـلَةَ » يُحَيِّيها ، وَيُعْلِنُ فَـرَحَهُ بِهـا .

٦ — حِـوارٌ شائِقٌ

دارَ بَـيْنَ « فُـوَيْرَةَ » وَ « نُمَيْـلَةَ » حِـوارٌ شائِقٌ مُمْتِـعٌ طَـوِيلٌ ، لَمْ يَصِـلْ إِلَيَّ مِنْـهُ إِلَّا طَـرَفٌ يَسِـيرٌ ، حَـرَصْتُ عَلَى نَقْلِهِ إِلَيْكَ ، لِما فِيـهِ مِنْ تَسْلِيَـةٍ ، وَمُتْعَـةٍ وَفائِدَةٍ .

إِلَيْـكَ يُسـاقُ الْحَـدِيثُ .

أَقْبَـلَ « فُـوَيْرَةُ » عَلَى صاحِبَتِهِ الْعَزِيزَةِ « نُمَيْـلَةَ » يُرَحِّبُ بِهـا ، وَيُبـالِـغُ فِى تَكْرِيمِها وَإِينـاسِها .

سَأَلَهـا « فُوَيْرَةُ »: « أَىُّ مُصادَفَةٍ سَعِيدَةٍ جاءَتْ بِفَتاةِ النَّمْلِ الْعَزِيزَةِ إِلَى هٰذا الْمَطْبَخِ الْحافِلِ . »

٧ — حَدِيثُ النَّمْلِ

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« سَمِعْتُ - صَباحَ الْيَوْمِ - جَماعَةً مِنْ أَصْحابِيَ الْأَعِزَّاءِ ، وَصَواحِبِيَ الْعَزِيزاتِ ؛ يَتَحَدَّثُونَ إِلَى بَعْضِ جاراتِهِمْ مِنَ النَّمْلِ ، عَمَّا يَحْوِيهِ هٰذا الْمَطْبَخُ الْفاخِرُ مِنْ لَذائِذِ الْأَشْرِبَةِ ، وَأَطايِبِ الْحَلْوَى ؛ فَعَزَمْتُ عَلَى زِيارَتِهِ .

لَمْ أَكُنْ فِى حاجَةٍ إِلَى مَنْ يَدُلُّنِى عَلَيْهِ ، فَقَدْ هَدَتْنِى غَرِيزَتِى إِلَيْهِ . »

٨ — فِى الْمَطْبَخِ الْفاخِرِ

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « شَدَّ ما أَحْسَنَتِ الْمُصادَفَةُ السَّعِيدَةُ إِلَيْنا ؛ إِذْ أَتاحَتْ لَنا فُرْصَةً نادِرَةً لِلِّقاءِ والْحَدِيثِ .

حَدِّثِينِى ، يا فَتاةَ النَّمْلِ : كَيْفَ رَأَيْتِ هٰذا الْمَطْبَخَ الْفاخِرَ؟ ما أَحْسَبُكِ شَهِدْتِ لَهُ مَثِيلًا ! »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« صَدَقْتَ ، يا فَتَى الْفِيرانِ ، ما أَعْجَبَ ما رَأَيْتُ .

إِنَّهُ أَرْوَعُ مَطْبَخٍ رَأَيْتُهُ فِي حَياتِي .

ما أَذْكُرُ أَنَّنِي شَهِدْتُ مَطْبَخًا حافِلًا بِكُلِّ هٰذِهِ الْأَشْرِبَةِ اللَّذِيذَةِ ، والْفاكِهَةِ النَّاضِجَةِ الْحُلْوَةِ : مِنْ بُرْقُوقٍ وَتُفَّاحٍ وَعِنَبٍ وَسُكَّرٍ وَعَسَلٍ وَرُطَبٍ . »

٩ — أَشْرِبَةٌ وَأَطْعِمَةٌ

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« أَراكِ تَقْصُرِينَ إِعْجابَكِ عَلَى ما يَحْوِيهِ الْمَطْبَخُ مِنْ سَوائِلَ وَحَلْوَى وَما إِلَيْها .

أَمَّا لَذائِذُ الْأَطْعِمَةِ الْأُخْرَى فَلا أَراكِ تَحْفِلِينَ بِها .

الْحَقُّ مَعَكِ ، يا « فَتاةَ النَّمْلِ » .

أَنا أَعْلَمُ أَنَّ أَفْواهَكُنَّ - بِطَبِيعَةِ تَكْوِينِها - لا تَسْمَحُ لَكُنَّ أَنْ تَتَغَذَّيْنَ بِغَيْرِ الْأَطْعِمَةِ السَّائِلَةِ ، أَوْ شِبْهِ السَّائِلَةِ الَّتِي تَلْعَقْنَها ، أَوْ تُمْرِرْنَ أَلْسِنَتَكُنَّ عَلَيْها حَتَّى تَلِينَ .

أَمَّا ما نَأْكُلُهُ نَحْنُ - مَعْشَرَ الْقَوارِضِ - مِنْ أَطْعِمَةٍ جامِدَةٍ ؛ فَلا قُدْرَةَ لَكُنَّ عَلَى قَرْضِهِ ، كَما نَفْعَلُ . »

١٠ — الْأَطْعِمَةُ الْجامِدَةُ

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« صَدَقْتَ - يا فَتَى الْفِيرانِ - صَدَقْتَ .

قَلَّ أَنْ يُوجَدَ بَيْنَنا - مَعْشَرَ النَّمْلِ - مَنْ يَسْتَسِيغُ الْأَطْعِمَةَ الْجامِدَةَ .

قُصارَى ما نَفْعَلُهُ أَنْ نُمَزِّقَها بِفَكَّيْنا ثُمَّ نَمْتَصَّ ما تَحْوِيهِ مِنْ عَصِيرٍ .

عَلَى أَنَّ هُناكَ مَنْ يَشِذُّ عَنْ هٰذِهِ الْقاعِدَةِ .

فَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُجَرِّباتٍ خَبِيراتٍ، بِطَبائِعِ النَّمْلِ عارِفاتٍ : أَنَّهُنَّ رَأَيْنَ مِنْ بَيْنِ مُخْتَلِفِ طَوائِفِنا الْعَدِيدَةِ ، أَفْرادًا غايَةً فِي النُّدْرَةِ ، لا تَنْطَبِقُ عَلَيْها هٰذِهِ الْقاعِدَةُ : أَفْرادًا مِنْ شُذَّاذِ النَّمْلِ لا تُبالِي أَنْ تَأْكُلَ ما تُصادِفُهُ فِي طَرِيقِها مِنَ الْأَعْشابِ وَالْمَوادِّ الْحَيَوانِيَّةِ .

١١ — طَعامُ النَّمْلِ

أَمَّا أَنا وَأَمْثالِي مِنْ سائِرِ طَوائِفِ النَّمْلِ ، فَنَقْتَصِرُ فى غِذائِنا - كَما تَعْلَمُ - عَلَى السَّوائِلِ وَأَحْشاءِ الْقَنائِصِ ذاتِ الْعَصِيرِ ، وَاللُّحُومِ الطَّرِيَّة ، وَرَحِيقِ الْأَزْهارِ ، وَلُبِّ الْفَواكِهِ النَّاضِجَةِ الْمُشَقَّقَةِ ، وَالْمَوادِّ الْعَسَلِيَّةِ وَاللَّزِجَةِ ، والْأَشْرِبَةِ ، والسُّكَّرِ عَلَى اخْتِلافِ أَنْواعِهِ ، وَما إِلَى ذٰلِكَ ؛ مِنْ لَذائِذَ شَهِيَّةٍ سائِغَةٍ . »

١٢ — طَعامُ الْقَوارِضِ

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« إِنَّنا - مَعْشَرَ الْقَوارِضِ - يَلَذُّ لَنا أَنْ نَطْعَمَ ما تَسْتَسِيغُونَ وَما لا تَسْتَسِيغُونَ ، مِمَّا يَحْتَوِيهِ هٰذا الْمَطْبَخُ الْفاخِرُ وأَمْثالُهُ مِنْ : أُرْزٍ وَسُكَّرٍ وَخُبْزٍ وَجُبْنٍ وَشَطِيرٍ ، وَكَعْكٍ وَبَيْضٍ وَفَطِيرٍ ، وَكُمَّثْرَى وَرُمَّانٍ ورُطَبٍ ، وَبُرْقُوقٍ وَتُفَّاحٍ وَعِنَبٍ ، وَأَنْبِجٍ (مَنْجُو) وَمَوْزٍ ، وَبُنْدُقٍ وَجَوْزٍ ، وَفُسْتُقٍ وَلَوْزٍ . »

قالَتْ « نمَيْلَةُ » :

« هَنِيئًا لَكُمْ ، ما شَرِبْتُمْ وَأَكَلْتُمْ . »

١٣ — مَزايا النَّمْلِ

سَأَلَها « فُوَيْرَةُ » : « كيْفَ حالُ صَواحِبِك ؛ مِنْ سُكَّانِ وادِى النَّمْلِ الْعَزِيزاتِ ؟ »

أَجابَتْهُ « نُمَيْلَةُ » :

« كُلُّنا بِخَيْرٍ : نَقْضِى حَياتَنا دائِبِينَ فِى الْعَمَلِ ؛ فَلا يَدِبُّ إِلَى نُفُوسِنا ضَجَرٌ وَلا مَلَلٌ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« الْحَقُّ ما تَقُولِينَ ، والصَّوابُ ما تَنْطِقِينَ .

لَقَدْ عُرِفْتُنَّ ـ معاشِرَ النَّمْلِ ـ عَلَى اخْتِلافِ طَوائِفِكُنَّ ، وَتَبايُنِ أَجْناسِكُنَّ ـ بِالْعَمَلِ الدَّائِبِ ، والْحِرْصِ عَلَى أَداءِ الْواجِبِ . وَقَدْ شَهِدَ لَكُنَّ كُلُّ مَنْ عَرَفَكُنَّ ، وَدَرَسَ طَبائِعَكُنَّ ، بالْجِدِّ والْمُثابَرَةِ ، وَقُوَّةِ الذَّاكِرَةِ ، وَلَمْ يُعْوِزْكُنَّ الذَّكاءُ والدَّهاءُ والْحِيلَةُ ، والتَّفَنُّنُ فِى ابْتِكارِ الْوَسِيلَةِ . »

١٤ — فِي وادِي النَّمْلِ

سَكَتَ « فُوَيْرَةُ » لَحْظَةً ثُمَّ ٱسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ قائِلًا :

« ما أَنْسَ لا أَنْسَ ما رَأَيْتُ - فِي زِيارَتِي لِوادِيكُنَّ الْبَهِيجِ - مِنْ تَنْسِيقٍ وَنظامٍ ، وَدِقَّةٍ وَإِحْكامٍ !

ما أَحْسَبُ أَحَدًا يُنازِعُكُنَّ الْفَخْرَ فِيما تَفَرَّدْتُنَّ بِهِ مِنْ خَصائِصَ نادِرَةٍ ، وَمَزايا باهِرَةٍ . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « شَدَّ ما يُسْعِدُنا وَيَبْهَجُ قُلُوبَنا ؛ أَنْ تَزُورَ وادِيَنا الْجَدِيدَ ؛ لِتَرَى فِيهِ طَرائِفَ مِمَّا ابْتَكَرْناهُ. وَلَطائِفَ مِمَّا ابْتَدَعْناهُ . »

١٥ — مَساكِنُ النَّمْلِ

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« لَسْتُ أَسْتَكْثِرُ شَيْئًا عَلَى ذَكائِكُنَّ ، بَعْدَ ما شَهِدْتُ الْأَعاجِيبَ مِنْ آياتِ بَراعَتِكُنَّ ، وَغَرائِبِ مُخْتَرَعاتِكُنَّ .

هَيْهاتَ أَنْ أَنْسَى ما رَأَيْتُ فِي زِيارَتِيَ السَّابِقَةِ ؛ مِنْ شَواهِدَ - عَلَى ما أَقُولُ - صادِقَةٍ ، مُتَحَدِّثَةٍ بِفَضْلِكُنَّ ناطِقَةٍ .

هَيْهاتَ أَنْ أَنْسَى ما رَأَيْتُ فِي وادِيكُنَّ مِنْ إِحْكامِ بِنائِهِ وَبَراعَةِ هَنْدَسَتِهِ ، وَتَرْتِيبِ مَسارِبِهِ وَطُرُقِهِ ، وَمَخازِنِهِ وَشِقَقِهِ ، وَما أَنْشَأْتُنَّ فِيهِ مِنْ مَساكِنَ ذاتِ طَبَقاتٍ عَدِيدَةٍ ، تَشْتَمِلُ عَلَى غُرَفٍ لِلتَّهْوِيَةِ ، وَغُرَفٍ لِلْفَقْسِ وَتَرْبِيَةِ الْبَيْضِ والْعَذارَى ، وَغُرَفٍ لِخَزْنِ الطَّعامِ . »

١٦ — فَضِيلَةُ الِادِّخارِ

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« مِنْ عادَتِنا أَنْ نَدَّخِرَ فِي هٰذِهِ الْمَخازِنِ ما نَجْمَعُهُ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ لِنَأْكُلَهُ فِي فَصْلِ الشِّتاءِ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« نِعْمَ ما تَفْعَلْنَ . لَوْلا ذٰلِكِ لَهَلَكْتُنَّ جُوعًا . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« صَدَقْتَ ، يا فَتَى الْفِيرانِ .

ما أَكْثَرَ ما يُضايِقُنا بَرْدُ الشِّتاءِ : يُعْجِزُنا عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ بُيُوتِنا ، وَيَضْطَرُّنا إِلَى الْبَقاءِ . »

قالَ « فُـوَيْرَةُ » :

«لِهٰذا تَدَّخِـرْنَ الْقُـوتَ فِى الصَّيْفِ .

هٰذا دَلِيلٌ عَـلَى ما مَـيَّزَكُنَّ اللهُ بِهِ مِنْ ذَكاءٍ وَعِـلْمٍ ، وَرَجاحَـةِ فَهْـمٍ .

لَقَـدْ تَعَلَّمَ النَّـاسُ مِنْـكُنَّ فَضِيلَةَ الِادِّخارِ ، كَما تَعلَّمُـوا مِنْ بَعْضِ الْحَشَراتِ كَثِيرًا مِنَ الْفُنُـونِ . »

قالَتْ « نُمَيْـلَةُ » :

« ما أَكْـثَرَ ما تَعَلَّمَ الْإِنْسانُ ، مُنْـذُ قَـدِيمِ الزَّمانِ ، مِنَ الْحَشَراتِ والْحَيَوانِ ! »

١٧ — دَرْسانِ

قالَ « فُـوَيْرَةُ » :

« ما أَنْسَ لا أَنْسَ طُرْفَتَـيْنِ سَمِعْتُهُـما ، وَدَرْسَـيْنِ - فِى زِيارَتِىَ السَّابِقَـةِ لِوادِيكُنَّ الْحَبِيبِ - تَعَلَّمْتُهُـما : دَرْسًا يَدُلُّ عَـلَى ما تَمَـيَّزْتُنَّ بِهِ مِنْ ذَكاءٍ باهِـرٍ وَجَـوابٍ حاضِرٍ ، وَدَرْسًا يَدُلُّ عَلَى ما خُصِصْتُنَّ بِهِ - إِلَى ذٰلِكَ - مِنْ وَفاءٍ نادِرٍ . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« أَىَّ دَرْسَيْنِ عَنَيْتَ ، وَمِنْ أَىِّ النِّمالِ تَعَلَّمْتَ ؟ »

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « تَعَلَّمْتُ أَوَّلَهُما مِنْ « أُمِّ مَشْغُولٍ » ، وَتَعَلَّمْتُ الثَّانِىَ مِنْ « أُمِّ نَوْبَةَ » . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« حَدِّثْنِى بِهِما ، فَما أَشْوَقَنِى إِلَى سَماعِهِما .

١٨ — « أَبُو زامِرٍ »

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « هَيْهاتَ أَنْ أَنْسَى ما قالَتْهُ « أُمُّ مَشْغُولٍ » لِصاحِبِها « أَبِى زامِرٍ » : ذٰلِكَ الصُّرْصُورِ ، الْعابِثِ الْمَغْرُورِ ، الَّذِى قَضَى أَيَّامَ الصَّيْفِ عاطِلاً ، لاهِيًا مُتَبَطِّلاً ؛ فَلَمَّا دَهِمَهُ بَرْدُ الشِّتاءِ لَمْ يَجِدْ ما يَأْكُلُهُ .

خَشِىَ « أَبُو زامِرٍ » أَنْ يَمُوتَ جُوعًا ، فَماذا صَنَعَ ؟ ذَهَبَ الْكَسْلانُ الْغَبِىُّ إِلَى « أُمِّ مَشْغُولٍ » راجِيًا مُتَوَسِّلاً ، باكِيًا مُتَذَلِّلاً ، يَطْلُبُ عَوْنَها وَمُساعَدَتَها ، وَيَلْتَمِسُ بِرَّها مُعاوَنَتَها .

١٩ — جَوابٌ حاسِمٌ

أَتَذْكُرِينَ كَيْفَ أَجابَتْهُ فَتاةُ النَّمْلِ ؟ »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« لَيْسَ فِينا مَنْ يَجْهَلُ إِجابَتَها ، أَوْ يَنْسَى .

كانَتْ إِجابَةً حاسِمَةً قاطِعَةً ، زاجِرَةً رادِعَةً . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « بَلْ كانَتْ باطِشَةً صافِعَةً .

ماكانَ أَبْرَعَها حِينَ سَأَلَتْهُ مُتَهَكِّمَةً :

« فِيمَ قَضَيْتَ الصَّيْفَ ، يا « أَبا زامِرٍ » ؟ »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« وَما كانَ أَخْيَبَهُ حِينَ قالَ لَها مُتَحَسِّرًا نادِمًا :

« فِي اللَّهْوِ قَضَيْتُهُ والْغِناءِ » ! »

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« وَما كانَ أَحْكَمَها حِينَ قالَتْ لَهُ هازِئَةً ساخِرَةً :

« بِالرَّقْصِ - إِذَنْ - تَقْضِي فَصْلَ الشِّتاءِ » ! »

٢٠ — « أُمُّ حَـذامِ »

قالَتْ « نُمَيْـلَةُ » :

« فَأَىَّ دَرْسٍ أَفَدْتَ مِن « أُمِّ نَوْبَةَ » ؟ »

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« هَيهاتَ أَنْ أَنْسَى قِصَّتَها مَعَ الْيَمامَةِ الذَّكِيَّةِ : « أُمِّ حَذامِ » ! تِلْكِ الْقِصَّـةَ الشَّائِقَـةَ الَّـتِي تَجَلَّى فِيهـا أَبْرَعُ آياتِ الذَّكاءِ ، وَأَكْرَمُ مَعـانِى الْوَفاءِ ، وَأَسْمَى أَلْوانِ التَّعاوُنِ الْمُثْمِرِ بَـيْنَ الْكُرَماءِ الْأَوْفِيـاءِ ، والْخُلَصاءِ الْأَصْفِياءِ . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « صَدَقْتَ ، يا « فُوَيْرَةُ » . إِنَّهـا قِصَّـــةٌ لا تُنْسَى ؛ وَقَدْ جَـرَتْ — لِشُهْرَتِها — مَجْـرَى الْأَمْثـالِ . »

قالَ « فُـوَيْرَةُ » :

« طالَمـا تَمَثَّلْتُ « أُمَّ نَوْبَةَ » وَهِىَ مُشْرِفَـةٌ عَـلَى الْغَرَقِ ، وَتَمَثَّلْتُ الْيمامَةَ الذَّكِيَّـةَ « أُمَّ حَذامِ » وَهِىَ تُسْرِعُ إِلَى صَدِيقَتِـها ، خَفِيفَـةً إِلَى نَجْـدَتِها ، فَتُلْقِى إِلَيْهـا بِإِحْدَى أَوْراقِ الشَّجَـرِ ؛ لِتُنْقِذَها مِنَ الْغَرَقِ . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« صَدَقْتَ . لَوْ لَمْ تُسْرِعْ « أُمُّ حَذامِ » بِإلْقاءِ الْوَرَقَةِ فِي ماءِ الْجَدْوَلِ لَغَرِقَتْ « أُمُّ نَوْبَةَ » . »

قالَ « فُوَيْرَة » :

« كانَتْ وَرَقَةُ الشَّجَرَةِ لَها أَشْبَهَ بِزَوْرَقِ النَّجْدَةِ . ضَمِنَتْ لَها الْبَقاءَ والنَّجاةَ ، وَأَعادَتْ إِلَيْها أَسْبابَ الْحَياةِ . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« لَمْ يَضِعْ مَعْرُوفُها عِنْدَ اللهِ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« ما أَسْرَعَ ما وَفَتْ « أُمُّ نَوْبَةَ » بِدَيْنِها إِلَى صَدِيقَتِها : « أُمِّ حَذامِ » .

رَأَتْ « أُمُّ نَوْبَةَ » - فِي بُكْرَةِ الْيَوْمِ التَّالِي - صَيَّادًا يَمْشِي - فِي طَرِيقِهِ - إِلَى عُشِّ صَدِيقَتِها « أُمِّ حَذامِ » ، وَيُسَدِّدُ رَصاصَتَهُ إِلَيْها .

أَسْرَعَتْ « أُمُّ نَوْبَةَ » إِلَيْهِ ، وَقَرَصَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ . »

٢١ — رَجاءُ « نُمَيْلَةَ »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« إِنَّ إِعْجابَكَ بِوَفاءِ « أُمِّ نَوْبَةَ » لِصاحِبَتِها « أُمِّ حَذامِ » لا يَقِلُّ عَنْ إِعْجابِها بِوَفائِكَ لِلْأَسَدِ الْجَبَّارِ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« كَيْفَ عَرَفْتِها « أُمَّ نَوْبَةَ » ؛ وَمِمَّنْ سَمِعْتِها ؟ »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « سَمِعْتُ « أُمَّ نَوْبَةَ » خُلاصَتَها مِنْ إِحْدَى صَواحِبِها ، فَراحَتْ تُحَدِّثُ بِها « أُمَّ حَذامِ » .

لم أَكَدْ أَسْمَعُها مِنْ « أُمِّ نَوْبَةَ » حَتَّى اشْتَدَّ إِعْجابِي بِكَ ، وَإِكْبارِي لَكَ .

ما أَشْوَقَنِي إِلَى سَماعِها مِنْكَ مُسْهَبَةً مُفَصَّلَةً لأَتَعَرَّفَ دَقائِقَها ، وَأَتَبَيَّنَ حَقائِقَها ! »

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « أَجِيبُ إِلَيَّ بِما تُرِيدِينَ .

إِلَيْكِ — يا عَزِيزَتِي — تَفْصِيلَ ما أَجْمَلَتْهُ « أُمُّ نَوْبَةَ » مِنْ قِصَّتِي :

٢٢ — حُلْمُ الْأَسَـــدِ

فِى إِحْـدَى اللَّيَـالِى الْمُظْلِمَـةِ كانَ الْأَسَـدُ الْجَبَّـارُ راقِدًا عَلَى مَسافَـةٍ قَرِيبَـةٍ مِنْ عَرِينِـهِ (بَيْتِـهِ) .

كانَ الْأَسَدُ الجَبَّارُ - فِى تِلْكِ اللَّيْلَةِ - يَغُطُّ فِى نَوْمِهِ بَعْـدَ أَنْ أَصابَ عَشاءً دَسِمًا .

كانَ مُسْتَسْلِمًا لِأَحْلامِهِ الْجَمِيلَةِ ، يَسْتَعْرِضُ فِى مَشاهِدِها صُـوَرًا بَهِيجَةً مِمَّـا يُفَكِّرُ فِيـهِ ، من رَغَبـاتِـهِ وَأَمانِيـهِ .

كانَ سـعِيدًا بِمـا يَصْطـادُهُ فى الْمَنـامِ ، مِنَ الْوُحُـوشِ والْغِزْلانِ ، وَقُطْعانِ الْمَها (بَقَرِ الْوَحْشِ) وأَسْرابِ النَّعامِ .

٢٣ — مُفـاجَأَةٌ غَـرِيبَـةٌ

أَحَسَّ الْأَسَدُ حَـرَكَةً مُفاجِئَـةً غَـرِيبَـةً .

أَحَسَّ أَنَّ شَيْئًـا يَجْـذِبُ شَعَـرَ لِبْدَتِهِ (مَعْرَفَتِهِ) .

تَمَلْمَلَ الْأَسَـدُ فِى مَنـامِهِ ، وَلَمْ يُمَتَّعْ بِلَذِيذ أَحْـلامِهِ .

مَدَّ الْأَسَدُ الْجَبَّارُ كَـفَّهُ إِلَى لِبْدَتِهِ يَتَحَسَّسُها وَهُوَ يَقْظانُ نائِمٌ .

أَمْسَكَتْ كَـفُّهُ بِفَأْرٍ صَغِـيرٍ . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » :

« كانَ « فُوَيْرَةُ » ذٰلِكَ الْفَأْرَ الصَّغِيرَ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » :

« صَدَقْتِ ، ياعَزِيزَتِى . كُنْتُ أَنا ذٰلِكِ الْفَأْرَ الصَّغِيرَ .

لَسْتُ أَدْرِى كَيفَ حَدَثَ هٰذا .

لَسْتُ أَدْرِى كَيْفَ وَقَعْتُ فِى هٰذا الْخَطَإِ الْجَسِيمِ ، وَٱرْتَكَبْتُ ذٰلِكِ الْإِثْمَ الْعَظِيمَ !

لَسْتُ أَدْرِى كَيْفَ شَدَدْتُ لِبْدَةَ الْأَسَدِ .

كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ بَعْضِ الْحَشائِشِ والْأَعْشابِ لِأُعِيدَ بِناءَ بَيْتِى بَعْدَ أَنْ تَهَدَّمَ .

كانَ الظَّلامُ حالِكًا ، والْأَسَدُ نائِماً .

حَسِبْتُ الْأَسَدَ ـــ لِغَباوَتِى ، وَفَرْطِ شَقاوَتِى ـــ كُومَةً مِنَ الْحَشائِشِ والْأَعْشابِ .

اِنْدَفَعْتُ إِلَيْهِ فِى غَيْرِ رَوِيَّةٍ ولا تَبَصُّرٍ .

جَذَبْتُ شَعَرَ لِبْدَتِهِ ، دُونَ أَنْ أَفْطُنَ إِلَى حَقِيقَتِهِ .

٢٤ — غَضْبَةُ الْأَسَدِ

كانَتْ مُفاجَأَةً مُزْعِجَةً ، أَغْضَبَتِ الْأَسَدَ الْجَبَّارَ ، وَأَطارَتْ نَوْمَهُ ، وَنَغَّصَتْ عَلَيْهِ حُلْمَهُ .

زَأَرَ الْأَسَدُ مُتَوَعِّدًا ، وَسَأَلَنِي غاضِبًا مُتَهَدِّدًا :

« كَيْفَ فَعلْتَ هٰذا ، أَيُّها الشَّقِيُّ الْخَبِيثُ ؟

كَيْفَ جَرُؤْتَ عَلَى مُعاكَسَتِي ، وَأَقْدَمْتَ عَلَى مُغاضَبَتِي ؟

لَنْ تَنْجُوَ مِنْ عِقابِي ، أَيُّها الطَّائِشُ الْأَحْمَقُ .

لَنْ تُفْلِتَ مِنِ انْتِقامِي أَيُّها الْغَبِيُّ الْأَخْرَقُ .

لا بُدَّ أَنْ آكُلَكَ لِيَكُونَ فِي ذٰلِكَ دَرْسٌ نافِعٌ لِأَمْثالِكَ مِنَ الْمُتَسَرِّعِينَ والْمُتَهَوِّرِينَ ، وَزَجْرٌ رادِعٌ لِأَشْباهِكَ مِنَ الْحَمْقَى والْمَجانِينَ . »

٢٥ — رَجاءٌ واسْتِعْطافٌ

شَدَّ ما رُوِّعْتُ وَتَفَزَّعْتُ ، حِينَ رَأَيْتُ الْأَسَدَ الْجَبَّارَ يَتَوَعَّدُنِي ، وَيَهُمُّ بِافْتِراسِي وَيَتَهَدَّدُنِي .

أَيْقَنْتُ — حِينَئِذٍ — بِدُنُوِّ أَجَلِي ، وَنِهايَةِ عُمْرِي .

تَوَسَّلْتُ إِلَى الْأَسَدِ الْجَبَّارِ أَنْ يَتَجاوَزَ عَنْ ذَنْبِي ، وَيَعْفُوَ عَنْ إِساءَتِي ، وَيَغْفِرَ ما بَدا مِنْ طَيْشِي وَحَماقَتِي .

قُلْتُ لَهُ مُسْتَعْطِفًا راجِيًا :

« ما أَجْدَرَ الْأَسَدَ الْجَبَّارَ ، أَنْ يَتَرَفَّعَ عَنْ مُعاقَبَةِ فارٍ . »

سَأَلَنِي الْأَسَدُ مُتَعَجِّبًا :

« خَبِّرْنِي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ :

كَيْفَ اسْتَهَنْتَ بِغَضَبِي وَقُوَّتِي ، وَجَرُؤْتَ عَلَى شَدِّ لِبْدَتِي ؟ »

نَظَرْتُ إِلَيْهِ باكِيًا خائِفًا ، وَسَأَلْتُهُ راجِيًا مُسْتَعْطِفًا :

« أَيَظُنُّ الْأَسَدُ الْعَظِيمُ أَنَّ مِثْلِي يَجْرُؤُ عَلَى شَدِّ لِبْدَتِهِ ، عامِدًا إِلَى إِساءَتِهِ وَمُغاضَبَتِهِ ؟

حاشا أَنْ يَخْطُرَ لِي ذٰلِكَ عَلَى بالٍ .

إِنَّما كُنْتُ فِي حاجَةٍ إِلَى بَعْضِ الْحَشائِشِ وَالْأَعْشابِ ؛ لِأُعِيدَ بِها بِناءَ جُحْرِي بَعْدَ أَنْ تَهَدَّمَ .

لَمْ أَكَدْ أَقْتَرِبُ مِنْكَ ، حَتَّى رَأَيْتُ - فِي ظَلامِ اللَّيْلِ - لِبْدَتَكَ الْجَمِيلَةَ .

خَيَّلَ إِلَيَّ الْوَهْمُ أَنَّها كُومَةٌ كَبِيرَةٌ، مِنَ الْحَشائِشِ النَّضِيرَةِ، والأَعْشابِ الْبَدِيعَةِ. انْدَفَعْتُ إِلَيْها فِي غَيْرِ تَبَصُّرٍ وَلا رَوِيَّةٍ، وَجَذَبْتُ خُصْلَةً مِنْها.

لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبالِي أَنَّها لِبْدَةُ الأَسَدِ الْعَظِيمِ.

كانَ — لِسُوءِ حَظِّي — ما خِفْتُ أَنْ يَكُونَ.

لا رَيْبَ أَنَّ ذَنْبِي عَظِيمٌ.

لٰكِنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ، وَنَفْسَكَ أَكْرَمُ.»

٢٦ — عَفْوُ الْقادِرِينَ

هَدَأَتْ ثائِرَةُ الأَسَدِ وَسَكَنَ غَضَبُهُ.

الْتَفَتَ إِلَيَّ قائِلًا:

«الآنَ عَرَفْتُ حُسْنَ قَصْدِكَ، وَتَبَيَّنْتُ صِدْقَ عُذْرِكَ.

لٰكِنْ: أَتَظُنُّ أَنَّ هٰذا السَّبَبَ يُعْفِيكَ مِنْ عِقابِي، وَيُنْجِيكَ مِنْ قِصاصِي؟

هَيْهاتَ ذٰلِكَ هَيْهاتَ. لا بُدَّ مِنْ عِقابٍ صارِمٍ يَجْعَلُكَ عِبْرَةً لِغَيْرِكَ مِنَ الْمُتَسَرِّعِينَ، وَيَرْدَعُ أَمْثالَكَ مِنَ الْمُتَهَوِّرِينَ.»

قُلْتُ لِلْأَسَدِ مُتَوَسِّلًا :

« مِنْ شِيَمِ الْكِرامِ الْقادِرِينَ ، أَنْ يَتَجاوَزُوا عَنْ إِساءَةِ الضِّعافِ الْعاجِزِينَ .

وَقَدِيمًا قالَ الْقُدَماءُ :

« ما أَحْسَنَ الْعَفْوَ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ ، وَما أَجْدَرَ الْكُرَماءَ بِقَبُولِ الْمَعْذِرَةِ » .

وَقالَ الْحُكَماءُ :

« مَنْ يَصْنَعِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَزاءَهُ ! »

أُعْجِبَ الْأَسَدُ بِما سَمِعَ .

كانَ الْأَسَدُ لِحُسْنِ حَظِّى كَرِيمَ النَّفْسِ ، طَيِّبَ الْقَلْبِ .

سَكَنَتْ نَفْسِى حِينَ رَأَيْتُ مابَدا عَلَى وَجْهِ الْأَسَدِ مِنْ دَلائِلِ الْبِشْرِ والِارْتِياحِ ، وَأَماراتِ الصَّفْحِ والسَّماحِ .

اِسْتَأْنَفْتُ رَجائِى قائِلًا :

« مَنْ يَدْرِى ، أَيُّها الْأَسَدُ الْهُمامُ !

لَعَلَّ اللهَ يُقْدِرُنِى عَلَى رَدِّ جَمِيلِكَ فِى أَحَدِ الْأَيَّامِ . »

٢٧ — قَبُولُ التَّوْبَةِ

قَهْقَهَ الْأَسَدُ ضاحِكًا .

لَمْ يَتَمالَكْ أَنْ يُعْلِنَ دَهْشَتَهُ مِنْ تَفْكِيرِى ، وَسُخْرِيَتَهُ مِنْ غُرُورِى وَتَقْدِيرِى .

رَأَى فِيما قُلْتُ نُكْتَةً مُسَلِّيَةً رَفَّهَتْ عَنْ نَفْسِهِ وَخَفَّفَتْ مِنْ غَضَبِهِ ، وَأَشاعَتِ السُّرُورَ فِى قَلْبِهِ .

لَمْ يَتَرَدَّدِ الْأَسَدُ فِى قَبُولِ تَوْبَتِى ، والتَّجاوُزِ عَنْ إِساءَتِى .

٢٨ — سُخْرِيَةُ الْأَسَدِ

لَمْ أَنْسَ ما رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ حِينَ أَطْلَقَ سَراحِى .

كانَ يُغَمْغِمُ قائِلًا ، وَيُرَدِّدُ قَوْلِى ساخِرًا :

« مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَزاءَهُ .

يا لَهُ مِنْ فَأْرٍ مَلِيحِ الدُّعابَةِ ، خَفِيفِ الظِّلِّ !

كَيْفَ خَيَّلَ لَهُ الْوَهْمُ والْغُرُورُ أَنْ يُفَكِّرَ فِى رَدِّ الْمَعْرُوفِ إِلَيَّ ؟

أَيُّ جَزاءٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَهُ مِثْلُ هٰذا الْفَأْرِ الْحَقِيرِ ! »

٢٩ — فِي الْيَوْمِ التَّـالِى

فِى فَجْرِ الْيَوْمِ التَّـالِى ، صَحـا الْأَسَدُ مِنْ نَوْمِهِ مُبْتَهِجًا مَسْرُورًا . خَرَجَ يَصْطادُ فِى الْغـابَةِ عَلَى عادَتِهِ فِى كُلِّ يَوْمٍ .

كانَ الْأَسَـدُ يُمَنِّى نَفْسَـهُ فِى ذٰلِكِ الصَّباحِ بِصَيْـدٍ عَظِيمٍ ، وَنَهـارٍ حافِلٍ بِأَلْوانِ السَّعادَةِ والْبَهْجَـةِ .

لٰـكِنْ ، ما أَعْجَبَ تَصارِيفَ الْأَقْـدارِ !

يالَهـا مِنْ مُفاجَأَةٍ مُزْعِجَـةٍ نَغَّصَتْ سَعادَةَ الْأَسَدِ الْجَبَّارِ .

كانَ الْأَسَدُ يَبْحَثُ عَنْ صَيْدٍ ، فَإِذا هُوَ صَيْدٌ !

٣٠ — فِى حَبـائِلِ الْأَسْرِ

خَرَجَ الْأَسَدُ — كَما قُلْتُ لَكِ — فِى صَباحِ ذٰلِكِ الْيَوْمِ ، راضِىَ النَّفْسِ ، قَرِيرَ الْعَـيْنِ .

رَآهُ جَمـاعَةٌ مِنْ أَبْنـاءِ آدَمَ خَـرَجُوا إِلَى الْغـابَةِ يَصْطـادُونَ .

ظَلَّ الصَّيَّادُونَ الشُّطَّارُ (الْخُبَثاءُ) يُراقِبُونَ الْأَسَدَ الْجَبَّـارَ ، وَيَتَرَسَّمُونَ خُطُـواتِهِ مُنْذُ طُـلُوعِ النَّهـارِ .

كانُوا عازِمِينَ عَلَى أَنْ يَصْطادُوهُ دُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ .

كانَ فِى نِيَّتِهِمْ أَنْ يُودِعُوهُ حَدِيقَةَ الْحَيَوانِ لِيَعْرِضُوهُ عَلَى أَبْناءِ جِنْسِهِمْ .. لَمْ يَكَدِ الصَّيَّادُونَ يَشْهَدُونَ آثارَ أَقْدامِهِ حَتَّى نَصَبُوا لَهُ الْحَبائِلَ ، وأَعَدُّوا ـ لِصَيْدِهِ وَأَسْرِهِ ـ خُطَّةً مُحْكَمَةً . لَمْ تَلْبَثِ الْفُرْصَةُ أَنْ أَمْكَنَتْهُمْ . تَحَيَّنُوا مِنْهُ غَفْلَةً ، وَانْقَضُّوا عَلَيْهِ مُتَكاثِرِينَ . تَمَّ لَهُمْ ما أَرادُوا .

تَرَكُوا الْأَسَدَ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَتَّفُوهُ بِالْحِبالِ الْمَتِينَةِ . لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يُسْرِعُوا بِالْعَوْدَةِ لِيُحْضِرُوا الْقَفَصَ الَّذِى أَعَدُّوهُ لِنَقْلِهِ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوانِ .

٢٩ ــ غَضْبَةُ الْأَسَدِ

اِشْتَدَّ غَضَبُ الْأَسَدِ الْجَبَّارِ وَتَعالَتْ صَيْحاتُهُ الثَّائِرَةُ .

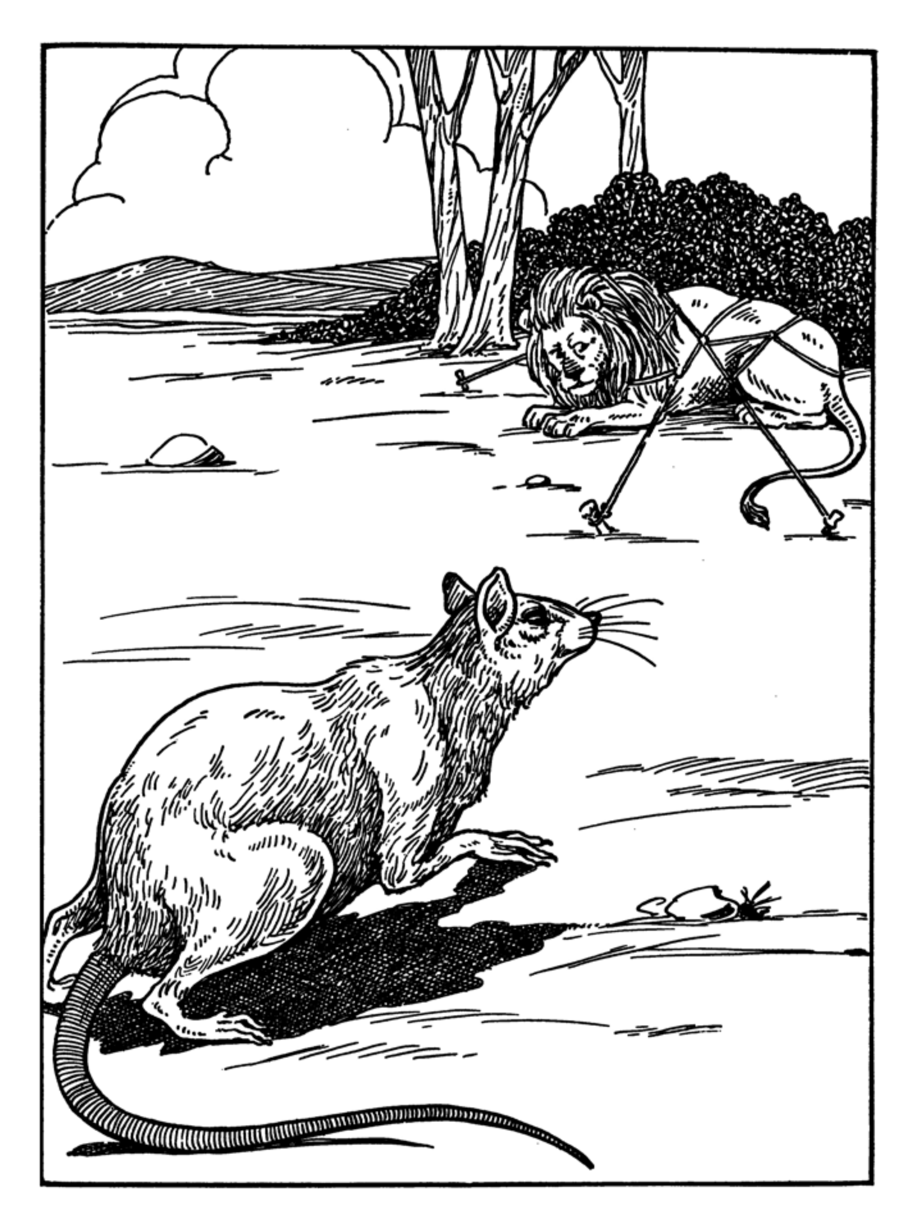
حاوَلَ الْخَلاصَ فَلَمْ يَقْدِرْ . حاوَلَ أَنْ يَقْطَعَ الْحِبالَ فَلَمْ يَنْجَحْ .

دَبَّ إِلَى نَفْسِهِ الْيَأْسُ .

اِنْطَلَقَتْ صَرَخاتُهُ الْغاضِبَةُ مُدَوِّيَةً فِى الْفَضاءِ . . .

شَدَّ ما تَمَلَّكَنِىَ الْعَجَبُ حِينَ سَمِعْتُ زَئِيرَ الْأَسَدِ الْغَضْبانِ .

٣٠ ـــ نَجْدَةُ « فُوَيْرَةَ »



قُلْتُ لِنَفْسِي مُتَعَجِّبًا : « هٰذا صَوْتٌ أَعْرِفُهُ ، وَلا أَجْهَلُهُ .
صَوْتٌ سَمِعْتُهُ لَيْلَةَ أَمْسِ . صَوْتُ الْأَسَدِ الْجَبَّارِ بِلا شَكٍّ ! »
قَصَدْتُ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ . لَمْ أَلْبَثْ أَنِ اهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ .

رَأَيْتُ الْأَسَدَ الْجَبَّارَ مُكَتَّفًا بِالْحِبالِ .

اِشْتَدَّ حُزْنِى لِمَأْساتِهِ .

كِدتُ أَتَمَزَّقُ مِنَ الْأَلَمِ .

جَرَيْتُ إِلَيْهِ بِأَقْصَى سُرْعَتِى .

أَقْبَلْتُ عَلَى الْأَسَدِ الْجَبَّارِ أُطَمْئِنُهُ وَأُواسِيهِ ، وَأُهَوِّنُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَهُ وَأُعَزِّيهِ .

بادَرْتُهُ قائِلًا :

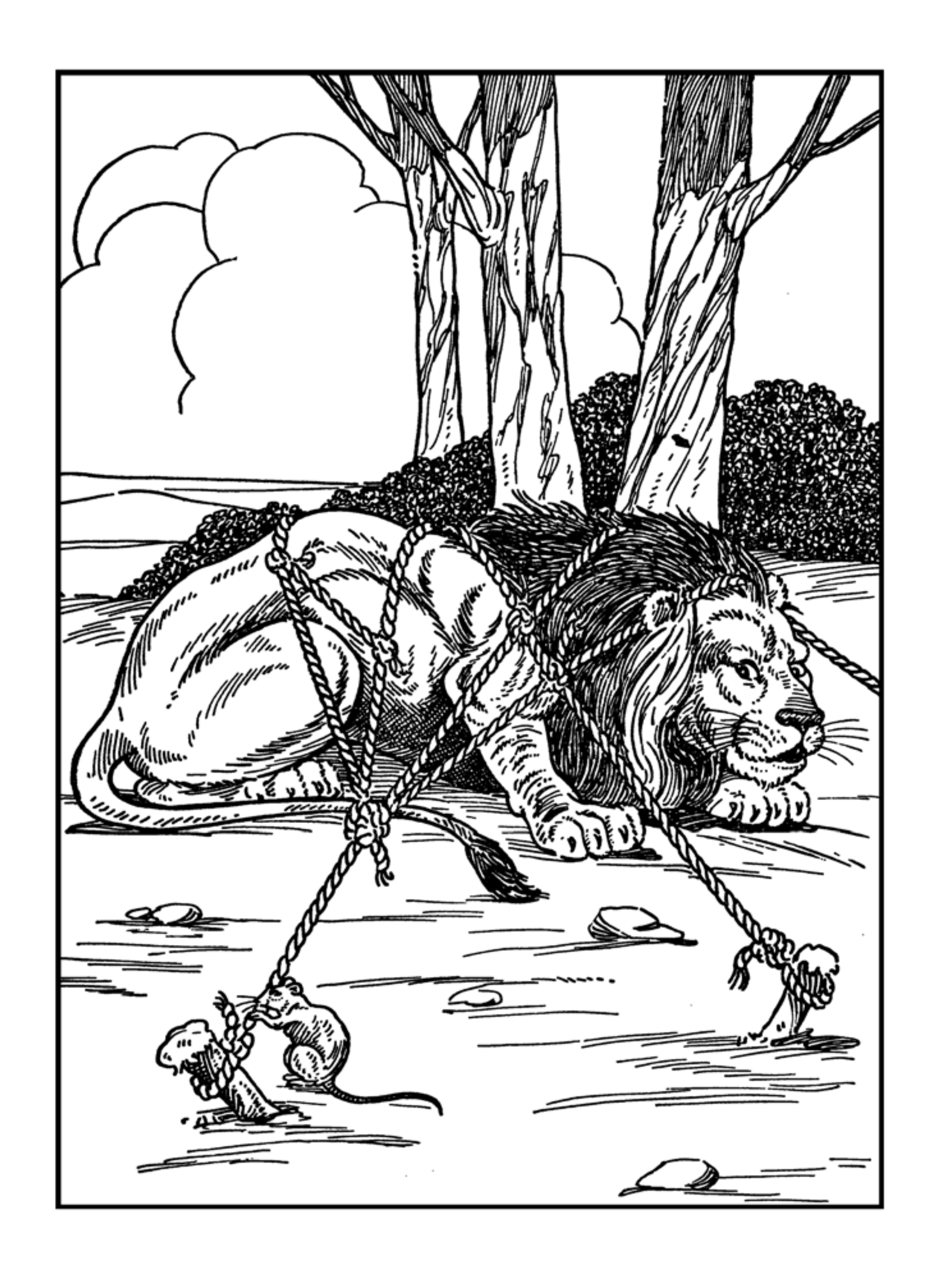
« لا عَلَيْكَ ، يا مَلِكَ الْحَيَوانِ .

أَرْجُو أَنْ يُقْدِرَنِى اللهُ عَلَى رَدِّ جَمِيلِكَ .

أَرْجُو أَنْ تَهْدَأَ وَلا تَتَحَرَّكَ .

عِنْدِى طَرِيقَةٌ لِقَرْضِ الْحِبالِ خَيْرٌ مِنْ طَرِيقَتِكَ . »

اِنْدَفَعْتُ إِلَى الْحِبالِ الْمَتِينَةِ الَّتِى كَتَّفَهُ بِها الصَّيَّادُونَ الْأَشْرارُ . أَعْمَلْتُ فِيها ما وَهَبَنِى اللهُ مِنْ أَسْنانٍ صَغِيرَةٍ حادَّةٍ ، دُونَ تَوانٍ وَلا كَلَلٍ . ظَلِلْتُ أَقْرِضُها واحِدًا بَعْدَ الآخَرِ .



لَمْ أَكَدْ أَنْتَهِى مِنْ قَرْضِ الْحَبْلِ الْأَوَّلِ ، حَتَّى شَرَعْتُ فِى قَرْضِ الثَّانِى ، ثُمَّ انْتَقَلْتُ إِلَى الثَّالِثِ ، وَهٰكَذا ، حَتَّى تَمَّ لِى ما أَرَدْتُ .

ما إِنِ اسْتَرَدَّ الْأَسَدُ حُرِّيَّتَهُ ، حَتَّى سَمِعْنا صَوْتَ الصَّيَّادِينَ عالِيًا ، وَرَأَيْناهُمْ قادِمِينَ مِنْ مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَمَعَهُمُ الْقَفَصُ الْكَبِيرُ الَّذى أَعَدُّوهُ لِيَسْجُنُوا فِيهِ صَيْدَهُمُ الثَّمِينَ ؛ رَيْثَما يَنْقُلُونَهُ إِلَى حَدِيقَةِ الْحَيَوانِ ، حَيْثُ يَعْرِضُونَهُ لِيَتَسَلَّى بِهِ أَبْناءُ جِنْسِهِمْ وَيَتَفَرَّجُونَ عَلَيْهِ .

ذَهَلَ الصَّيَّادُونَ حِينَ رَأَوُا الْأَسَدَ الْجَبَّارَ حُرًّا طَلِيقاً.

✲ ✲ ✲

كانَ لا يَعْدِلُ فَرَحَنا بِنَجاحِنا ، وابْتِهاجَنا بِتَحْقِيقِ مُرادِنا والظَّفَرِ بِآمالِنا ، إِلَّا حُزْنُ الصَّيَّادِينَ لإِخْفاقِ مَسْعاهُمْ وَعَوْدَتِهِمْ إِلَى بَلَدِهِمْ خائِبِينَ ؛ بَعْدَ أَنْ طارَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ماظَفِرُوا بِهِ مِنْ صَيْدٍ ثَمِينٍ.

نَظَرَ إِلَيَّ الْأَسَدُ شاكِرًا ، وَٱبْتَدَرَنِى قائِلًا :

« شَدَّ ماسَخِرْتُ مِنْكَ وَضَحِكْتُ ، حِينَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ : إِنَّ الْمَعْرُوفَ لا يَضِيعُ ، وَإِنَّكَ تُفَكِّرُ فِى رَدِّ الْجَمِيلِ إِلَيَّ ! الآنَ رَأَيْتُ مِصْداقَ ما قُلْتَ . الآنَ رَأَيْتُ كَيْفَ اسْتَطاعَ

الْفَـأْرُ الضَّعِيفُ الصَّغِيرُ ، بِرَغْمِ ضَعْفِهِ وَصِغَرِهِ وَضَآلَتِهِ أَنْ يُخَلِّصَ الْأَسَدَ الْقَوِىَّ عَلَى كِبَرِهِ وَضَخامَتِهِ ، وَيَرُدَّ إِلَيْهِ ما فَقَدَ مِنْ حُرِّيَّتِهِ . »

قُلْتُ لِلْأَسَدِ : « شَدَّ ما يُسْعِدُنِى أَنْ يُقْدِرَنِى اللهُ عَلَى الْوَفاءِ لَكَ ، وَرَدِّ الْجَمِيلِ إِلَيْكَ ، كَما يُسْعِدُنِى أَنْ تُؤْمِنَ بِالْحِكْمَةِ الْقائِلَةِ : « مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَزاءَهُ » . »

قالَ الْأَسَدُ : « الْآنَ صَدَّقْتُها تَصْدِيقًا ، وَآمَنْتُ بِها إِيمانًا . لَمْ يُخْطِئِ الْحُكَماءُ الْمُجَرِّبُونَ حِينَ قالُوا :

« لَنْ يَضِيعَ جَمِيلٌ عِنْدَ اللهِ » ! »

٣١ — ثَمَرَةُ التَّعاوُنِ

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « ما أَبْدَعَ قِصَّتَكَ مَعَ الْأَسَدِ الْجَبّارِ ، وَما أَبْدَعَ قِصَّةَ « أُمِّ نَوْبَةَ » مَعَ « أُمِّ حَذامِ » ! كِلْتاهُما رائِعَتانِ مَمْلُوءَتانِ بِأَنْفَسِ الدُّرُوسِ وَالْعِظاتِ الَّتِى يَتَجَلَّى فِيها ثَمَرَةُ التَّعاوُنِ والْوَفاءِ ، وَفَضْلُ التَّعاطُفِ والْإِخاءِ ، بَيْنَ الْأَخْيارِ الْأَوْفِياءِ ، وَالْمُتَحابِّينَ الْأَصْفِياءِ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « ذٰلِكِ بَعْضُ ما تَعَلَّمْناهُ مِنْكُنَّ ، مَعْشَرَ النِّمالِ الْعَزيزاتِ ، مِنْ دُرُوسٍ حَكيماتٍ .

أَيْنَ نَحنُ مِنْ فَضْلِكُنَّ ؟ ! وَأَيْنَ وَفاؤُنا مِنْ وَفائِكُنَّ ! إِنَّ ما تَمَيَّزْتُنَّ بِهِ مِنْ فَضيلَةِ التَّعاوُنِ والْجِدِّ والْمُثابَرَةِ ، وَما إِلَيْها مِنْ شَريفِ الْخِصالِ ، وَنَبيلِ الْفَعالِ ، قَدْ جَرَى مَجْرَى الْأَمْثالِ . »

٣٢ — دُرُوسٌ مِنَ الْحَشَراتِ

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « لا تَنْسَ فَضْلَ النَّحْلِ فِي هٰذا الْبابِ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « صَدَقْتِ ، يا « نُمَيْلُ » ، صَدَقْتِ .

ما أَكْثَرَ ما أَفادَ النَّاسُ مِنْ دُرُوسٍ تَلَقَّوْها عَنِ النَّمْلِ وَالنَّحْلِ ! كانَ لَهُما فَضْلُ السَّبْقِ فِي ضُرُوبِ التَّعاوُنِ والْإِخاءِ ، وَالْفَوْقِ فِي فُنُونِ الْهَنْدَسَةِ والْبِناءِ ! »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « لا تَنْسَ تَفَرُّدَ الْعَناكِبِ وَبَراعَتَها فِي نَسْجِ شِباكِها ، وَبِناءِ بَيْتِها .

لا تَنْسَ أَنَّها عَلَّمَتِ النَّاسَ كَيْفَ يَصْنَعُونَ شِباكَ الصَّيْدِ وَيَنْسُجُونَ الثِّيابَ عَلَى مِنْوالِها . »

قالَ « فُـوَيْرَةُ » : « صَدَقْتِ ـــ يا « نُمَيْـلُ » ـــ صَدَقْتِ ، وَبِالْحَقِّ نَطَقْتِ .

شَهِدْتُ ـــ ذاتَ مَرَّةٍ ـــ عَنْكَبَةً تُخْرِجُ مِنْ أَسْفَلِ بَطْنِها خُيُوطًا لَزِجَـةً . راقَبْتُهـا وَهِيَ تَبْنِي بِهٰذِهِ الْخُيُـوطِ بَيْتَهـا ، وَتَنْسُجُ شِبـاكَ صَـيْدِها ؛ فَتَمَلَّكَنِي الْعَجَبُ مِمَّـا رَأَيْتُ مِنْ ذَكائِها وَفِطْنَتِهـا ، وَبَراعَـةِ نَسْجِها وَدِقَّـةِ صَنْعَتِها . »

٣٣ ـــ أَنابِيبُ الْخَيْطِ

قالَتْ « نُمَيْـلَةُ » : « سَيَزْدادُ عَجَبُـكَ حِـينَ تَعْلَمُ أَنَّ عَدَدَ الثُّقُوبِ الَّـتِي تُفْـرِزُ الْمادَّةَ اللَّزِجَةَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ بَطْنِها ، سِتَّةُ آلافِ ثَقْبٍ ، تَخْرُجُ مِنْ سِتَّةِ الْأَنابِيبِ الَّتِي فِي أَسْفَلِ بَطْنِهـا ، فَيَتَأَلَّفُ مِنْ جُمَّاعِها سِتَّةٌ مِنَ الْخُيُوطِ الَّتِي تَبْـنِي بِها بَيْتَها وَتَصْنَعُ مِنْـها شِـباكَ صَـيْدِها . »

قالَ « فُـوَيْرَةُ » : « سِـتَّـةُ آلافِ ثَقْبٍ تَخْـرُجُ مِنْ سِتَّةِ الْأَنابِيبِ الَّتِي فِي أَسْفَلِ بَطْنِهـا !

ما أَغْرَبَ ما تَقُولِينَ ! تَعْنِينَ أَنَّ فِي كُلِّ أُنْبُوبٍ أَلْفَ ثَقْبٍ ؟ »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ »: « نَعَمْ ياعَزِيزِى: فِى أَسْفَلِ بَطْنِ الْعَنْكَبَةِ سِتُّ أَطْرافٍ بارِزَةٍ. فِى كُلِّ طَرَفٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَطْرافِ الْبارِزَةِ أُنْبُوبَةٌ ضَيِّقَةٌ لا يَزِيدُ اتِّساعُها عَلَى رَأْسِ دَبُّوسٍ.

تَحْتَوِى هٰذِهِ الْأُنْبُوبَةُ - بِرَغْمِ صِغَرِها وَضِيقِها - أَلْفَ ثَقْبٍ دَقِيقٍ، مُتَناهٍ فِى الصِّغَرِ والضِّيقِ. »

قالَ « فُوَيْرَةُ »: « ما أَعْجَبَ قُدْرَةَ اللّٰهِ! »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ »: « سَيَزْدادُ عَجَبُكَ حِينَ تَعْلَمُ أَنَّ مايَخْرُجُ مِنْ ثُقُوبِ كُلِّ أُنْبُوبَةٍ مِنْ سائِلٍ شَدِيدِ اللَّزَجِ، لايَكادُ يَتَعَرَّضُ لِلْهَواءِ حَتَّى يَجِفَّ بَعْدَ أَنْ يَلْتَصِقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَيَتَأَلَّفُ - مِنْ جُمَّاعِ أَلْفِ الثَّقْبِ - خَيْطٌ واحِدٌ رَفِيعٌ دَقِيقٌ، مُتَناهٍ فِى الرَّفاعَةِ والدِّقَّةِ. »

قالَ « فُوَيْرَةُ »: « ما أَعْجَبَ ما تَقُولِينَ!

تَبارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ!

ما أَظُنُّ إِنْسِيًّا واحِدًا بالِغًا ما بَلَغَ مِنَ الْمَهارَةِ والذَّكاءِ، والْحِذْقِ والدَّهاءِ، يَقْدِرُ عَلَى تَقْلِيدِ الْعَنْكَبَةِ فِى فَنِّها، وَمُحاكاتِها فِيما تُبْدِعُهُ مِنْ خُيُوطِ غَزْلِها وَنَسْجِها! »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « لا رَيْبَ فِيما تَقُولُ . إِنَّ أَبْرَعَ النَّسَّاجِينَ - مِنْ قُدَماءَ وَمُحْدَثِينَ - لَيَقِفُونَ إِزاءَ ما تُبْدِعُهُ الْعَنْكَبَةُ الصَّناعُ مِنْ نَسِيجٍ عَنْكَبِيٍّ ، وِقْفَةَ عاجِزٍ غَبِيٍّ ، مُتَبَلِّدٍ عَيِيٍّ ، أَمامَ فَنٍّ رائِعٍ عَبْقَرِيٍّ . »

قالَ « فُوَيْرَةُ » : « تَبارَكَ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ !

ما أَكْثَرَ ما يَتَعَلَّمُ النَّاسُ مِنْ حَشَرَةٍ صَغِيرَةٍ ضَعِيفَةٍ ، كالنَّمْلِ والنَّحْلِ والْعَنْكَبَةِ . »

قالَتْ « نُمَيْلَةُ » : « لا شَأْنَ لِلصِّغَرِ والْكِبَرِ فِيما وَهَبَ اللهُ لِمَخْلُوقاتِهِ مِنْ فَضائِلَ وَمَزايا ، وَما مَنَحَهُ مِنْ شَمائِلَ وَسَجايا ، وَما أَغْدَقَهُ عَلَيْها مِنْ هَدايا وَعَطايا .

وَقَدِيمًا قالَ الْحُكَماءُ : « قِيمَةُ كُلِّ فَرْدٍ تَتَجَلَّى فِيما يُحْسِنُهُ ، وَفَضْلُهُ يُقاسُ إِلَى ما يُبْدِعُهُ وَيُتْقِنُهُ » .

أَلا تَرَى كَيْفَ اسْتَطاعَ النَّاسُ - عَلَى ضَعْفِهِمْ وَصِغَرِ أَجْسامِهِمْ - أَنْ يَسْتَخْدِمُوا الْحَمِيرَ والْبِغالَ ، وَيُسَخِّرُوا الْخَيْلَ والْجِمالَ ، وَيُذَلِّلُوا الْجَبابِرَةَ مِنَ الْأَفْيالِ ... ؟ ! »

قالَ « فُـوَيْرَةُ » مُقاطِعًا : « كَما اسْتَطاعُوا أَنْ يَسْتَخْدِمُوا الْأَبقـارَ وَالثِّيرانَ ، وَيَصْطادُوا النَّعـامَ والْغِـزْلانَ ، وَيَغْلِبُوا التَّماسِيحَ والْحِيتـانَ ، وَيَقْهَرُوا النُّمُورَ والْفُهُودَ ، وَيَفْتِكُوا بِالْكَراكِدِ (جَمْعِ كَرْكَدَّنٍ) وَالْأُسُودِ . »

٣٤ — خَوْفٌ وَأَمْنٌ

سَكَتَ « فُـوَيْرَةُ » فَجْأَةً . كَفَّ عَنْ حَدِيثِهِ بَغْتَـةً .

تَوَقَّفَ لِسانُهُ واحْتَبَسَ ، كَأَنَّما أَلْجَمَهُ الْخَرَسُ .

سَأَلَتْهُ « نُمَيْلَةُ » : « ماذا أَصابَكَ ياعَزِيزِي ؟ ماذا أَسْكَتَكَ ؟ ما بالُ جِسْمِكَ يَرْتَعِشُ ، وَعَيْنُكَ تَخْتَلِجُ ؟ »

سَأَلَها « فُـوَيْرَةُ » مُتَحَيِّرًا مَشْدُوهًا :

« أَلا تَسْمَعِينَ ما أَسْمَعُ ؟ أَلا تَسْمَعِينَ صَوْتَهُ الرَّهِيبَ ؟ »

سَأَلَتْهُ « نُمَيْلَةُ » مُتَعَجِّبَةً :

« لا بَأْسَ عَلَيْكَ يا أَخِي ! صَوْتَ مَنْ تَعْنِي ؟ »

أَجابَها مُتَفَزِّعًا مَرْعُوبًا :

« صَوْتَ « مُخادِشٍ » أَعْنِي . أَلا تَسْمَعِينَ صَوْتَ « مُخادِشٍ » ؟ »

عَجِبَتْ « نُمَيْلَةُ » مِمَّا تَخَيَّلَهُ صاحِبُها وَتَوَهَّمَهُ .

أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تَقُولُ لَهُ وَتُطَمْئِنُهُ :

« كَلَّا . لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا ، يا « فُوَيْرُ » . لا رَيْبَ أَنَّ فَزَعَكَ مِنْ « مُخادِشٍ » أَوْهَمَكَ أَنَّكَ تَسْمَعُ مُواءَهُ . »

اِقْتَرَبَ « فُوَيْرَةُ » مِنْ بابِ الْمَطْبَخِ . أَرْهَفَ أُذُنَيْهِ لِيَتَثَبَّتَ مِنْ جَلِيَّةِ الْأَمْرِ . لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا . أَدْرَكَ أَنَّهُ كانَ واهِمًا فِي ظَنِّهِ . أَيْقَنَ أَنَّ فَزَعَهُ مِنْ « مُخادِشٍ » خَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ مُواءَهُ .

لَمْ يَلْبَثْ « فُوَيْرَةُ » أَنْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ ، وَعاوَدَهُ مَرَحُهُ وَأُنْسُهُ . أَقْبَلَ « فُوَيْرَةُ » عَلَى صَدِيقَتِهِ يَعْتَذِرُ لَها عَمَّا بَدا مِنْ جُبْنِهِ وضَعْفِهِ ، وَجَزَعِهِ وَخَوْفِهِ .

طَيَّبَتْ « نُمَيْلَةُ » خاطِرَهُ . وَدَّعَتْهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، مُسْتَأْذِنَةً فِي الْعَوْدَةِ إِلَى وادِيها الْجَمِيلِ .

٣٥ — هَوْلُ الْمُفاجَأَةِ

لَمْ تَكَدْ « نُمَيْلَةُ » تُفارِقُ « فُوَيْرَةَ » حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى لَذائِذِ الْفاكِهَةِ والْحَلْوَى يَلْتَهِمُها فِي شَرَهٍ عَجِيبٍ ، وَنَهَمٍ غَرِيبٍ .

رَقَصَ « فُوَيْرَةُ » وَغَنَّى ، بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ ما تَمَنَّى .

ما أَعْجَبَ ما حَدَثَ ! يا لِهَوْلِ الْمُفاجَأَةِ ! عادَ صَوْتُ « مُخادِشٍ » عالِيًا . جَلْجَلَ صَوْتُهُ مُدَوِّيًا .

كَفَّ « فُوَيْرَةُ » عَنِ الرَّقْصِ والْغِناءِ فَجْأَةً .

تَفَزَّعَ « فُوَيْرَةُ » واضْطَرَبَ . صَرَخَ وارْتَعَبَ .

اِنْقَلَبَ فَرَحُهُ هَمًّا ، وَتَبَدَّلَ سُرُورُهُ تَرَحًا وَغَمًّا .

لَمْ يَكُنْ ما سَمِعَهُ ـ فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ ـ خَيالًا وَلا وَهْمًا .

كانَ حَقِيقَةً واقِعَةً ، وَمَأْساةً فاجِعَةً ! « مُخادِشٌ » يَقْتَرِبُ مِنَ الْبابِ ! لا شَكَّ فِيما يَسْمَعُ ولا ٱرْتِيابَ !

صَرَخاتُ « مُخادِشٍ » تَشُقُّ الْفَضاءَ صاخِبَةً ، مُدَوِّيَةً راعِبَةً .

ها هُوَ ذا « مُخادِشٌ » : عَدُوُّهُ الْغادِرُ ، غاضِبٌ ثائِرٌ ، يَنْطَحُ الْبابَ بِرَأْسِهِ ، وَيَضْرِبُهُ بِمَخالِبِهِ .

« فُوَيْرَةُ » يُفَكِّرُ فِي الْهَرَبِ ، قَبْلَ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ عَدُوُّهُ .

« مُخادِشٌ » يَجِدُ الْبابَ مُغْلَقًا ، فَيُسْرِعُ إِلَى النَّافِذَةِ مُتَسَلِّقًا .

« مُخادِشٌ » يَرَى فَرِيسَتَهُ مِنْ خِلالِ زُجاجِ النَّافِذَةِ الصَّفِيقِ ،

فَيَشْتَدُّ بِهِ الْأَسَى والضِّيقُ. زُجاجُ النَّافِذَةِ الْمُغْلَقَةِ يَحُولُ دُونَ غايَتِهِ، وَلا يُمَكِّنُهُ مِنَ الْوُثُوبِ عَلَى فَرِيسَتِهِ.

«مُخادِشٌ» يُحاوِلُ جاهِدًا أَنْ يَحْطِمَ الزُّجاجَ.

هَيْهاتَ هَيْهاتَ.

«مُخادِشٌ» يَدُقُّ الزُّجاجَ بِمَخالِبِهِ وَيَنْطَحُهُ بِرَأْسِهِ.

«مُخادِشٌ» يَسْتَوْلِى عَلَيْهِ الْغَضَبُ، وَيَشْتَدُّ بِهِ التَّعَبُ.

٣٦ — نِهايَةُ الْحُلْمِ

«فُوَيْرَةُ» يَرَى عَجْزَ «مُخادِشٍ» عَنِ النَّفاذِ إِلَيْهِ، فَيَسْتَوْلِى الْفَرَحُ عَلَيْهِ. «فُوَيْرَةُ» يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْغِناءِ، وَيرْقُصُ فِى عُجْبٍ وَخُيَلاءَ. «مُخادِشٌ» يَكادُ يَنْشَقُّ مِنَ الْغَيْظِ. «مُخادِشٌ» يُصِرُّ عَلَى تَأْدِيبِ فَرِيسَتِهِ، فَيَجْمَعُ أَطْرافَ شَجاعَتِهِ، وَجَراءَتِهِ وَشَراسَتِهِ، وَيَنْطَحُ النَّافِذَةَ بِرَأْسِهِ نَطْحَةَ مُغْضَبٍ مَوْتُورٍ، فَإِذا بِزُجاجِها مُنْتَثِرٌ مَكْسُورٌ.

كانَتْ مُفاجَأَةً مُذْهِلَةً، وَصَدْمَةً قاتِلَةً، أَطارَتْ صَوابَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْسِبُ لَها حِسابَهُ.

عَلَى أَنَّها ، لِشِدَّةِ وَقْعِها ، أَيْقَظَتْهُ مِنْ نَوْمِهِ ، وَخَلَّصَتْهُ مِنْ حُلْمِهِ .

* * *

لا تَسَلْ عَنِ ابْتِهاجِ « فُوَيْرَةَ » حِينَ أَدْرَكَ أَنَّ ما رَآهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا وَهْمًا مِنَ الْأَوْهامِ ، وَحُلْمًا مِنَ الْأَحْلامِ .

٣٧ — فِي عالَمِ الْيَقَظَةِ

لَمْ يَطُلْ فَرَحُ « فُوَيْرَةَ » بِخَلاصِهِ مِنْ بَراثِنِ عَدُوِّهِ .

سُرْعانَ ما تَبَدَّدَتْ فَرْحَتُهُ هَباءً ، وَتَحَوَّلَتْ سَعادَتُهُ تَعاسَةً وَشَقاءً .

تَسْأَلُنِي عَنِ السَّبَبِ :

كانَ ماحَدَثَ عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ .

لَمْ يَكَدْ « فُوَيْرَةُ » يَسْتَيْقِظُ حَتَّى دَهِمَتْهُ كارِثَةٌ مُفَزِّعَةٌ ، وَصَدْمَةٌ مُرَوِّعَةٌ .

نَسِيَ لِهَوْلِها ما شَهِدَ مِنْ مُزْعِجاتِ مَنامِهِ ، وَمُفَزِّعاتِ أَحْلامِهِ .

٣٨ — حَدِيدَةُ الْمِحْراثِ

تَسْأَلُنِي : أَيُّ مُفاجَأَةٍ دَهِمَتْهُ ، وَأَذْهَلَتْهُ ورَعَبَتْهُ ؟

حِوارٌ بَيْنَ وَلَدٍ وَأَبٍ ، وَمِحْراثٌ يَدْنُو مِنْهُ وَيَقْتَرِبُ .

أَسْرَعَ « فُوَيْرَةُ » إِلَى بابِ الْجُحْرِ ، لِيَتَعَرَّفَ جَلِيَّةَ الْأَمْرِ . هالَهُ ما شَهِدَ ، وَفَزَّعَهُ ما رَأَى وَسَمِعَ : رَأَى مِحْراثًا هائِلَ الْحَجْمِ ، يَهُزُّ الْأَرْضَ هَزًّا ، وَيَشُقُّ الْحَقْلَ شَقًّا : يَقْلِبُ عالِيَها سافِلًا ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ الْمَوْتَ عاجِلًا .

لا تَسَلْ عَنْ فَزَعِ « فُوَيْرَةَ » وَذُعْرِهِ ، حِينَ رَأَى الزَّارِعَ وَوَلَدَهُ يَقْتَرِبانِ مِنْ جُحْرِهِ . لَمْ يَكَدْ « فُوَيْرَةُ » يَشْهَدُ حَدِيدَةَ الْمِحْراثِ تَتَهَدَّدُهُ بِالْهَلاكِ وَتُنْذِرُهُ بِالدَّمارِ ، حَتَّى لَجَأَ إِلَى الْفِرارِ .

✲ ✲ ✲

أَعَرَفْتَ لِماذا خافَ ساكِنُ الْجُحْرِ وَارْتَعَبَ ، وَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَاضْطَرَبَ ؛ فَآثَرَ الْفِرارَ وَأَسْرَعَ بِالْهَرَبِ ؟!

أَعَرَفْتَ مَأْساةَ ساكِنِ الْجُحْرِ الَّذِي سَقَطَ فِيهِ « نُونُو » بَطَلُ قِصَّتِنا الْحَبِيبُ ؟!

١ ــ وَداعٌ ساخِرٌ

لَمْ يَكَدْ «نُونُو» يَسْتَقِرُّ فِي جُحْرِ «فُوَيْرَةَ» حَتَّى الْتَفَتَ إِلَى الرَّجُلَيْنِ قائِلًا :

« طابَ مَساؤُكُما ، أَيُّها الْعَزِيزانِ ! كانَ يُسْعِدُنِي أَنْ تَطُولَ صُحْبَتِي مَعَكُما. لٰكِنْ هَيْهاتَ أَنْ أَبِيعَ حُرِّيَّتِي فِي سَبِيلِ إِرْضائِكُما ، وَجَلْبِ الثَّرْوَةِ الطّائِلَةِ إِلَيْكُما .

لا عَلَيَّ إِذا آثَرْتُ الْهَرَبَ مِنْكُما ، بَعْدَ أَنْ مَلِلْتُ الْبَقاءَ مَعَكُما . لا عَلَيَّ إِذا زَهِدْتُ فِيكُما ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ ما تُضْمِرانِ لِي مِنْ كَيْدِكُما .

تَسْتَطِيعانِ ــ مُنْذُ الآنَ ــ أَنْ تَطُوفا أَرْجاءَ الْعالَمِ كُلَّها ، دُونَ أَنْ تَحْتاجا إِلَى مَنْ يُؤْنِسُكُما ، وَيُرَفِّهُ عَنْكُما ، وَيَرْضَى الْبَقاءَ فِي قُبَّعَتِكُما .

لَكُما مِنِّيَ الشُّكْرُ وَالثَّناءُ . وَداعًا إِلَى غَيْرِ لِقاءٍ .

وَداعًا ، أَيُّها الْعَزِيزانِ . لَنْ تَرَيانِي بَعْدَ الآنَ !

صَحِبَتْكُما السَّلامَةُ وَالأَمانُ ، فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ . »

٢ — جُهْدٌ ضائِعٌ



سَمِعَ الرَّجُلانِ ما قالَهُ « نُونُو » واضِحًا جَلِيًّا ، لا لَبْسَ فِيهِ وَلا غُمُوضَ . أَدْرَكَ الرَّجُلانِ أَنَّ أَسِيرَهُما لا يَزالُ على قيدِ

(مَسافَةِ) خُطُواتٍ قَلِيلَةٍ مِنْهُما . أَسْرَعَ الرَّجُلانِ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ يَبْحَثانِ عَنْهُ دُونَ أَنْ يَعْثُرا عَلَيْهِ .

كانَ « نُونُو » — كَما قُلْتُ لَكَ فِى الْفَصْلِ السَّابِقِ — يَتَأَهَّبُ لِلدُّخُولِ فِى جُحْرِ « فُوَيْرَةَ » . لَمْ يَكَدْ « نُونُو » يُتِم قَوْلَتَهُ حَتَّى أَسْرَعَ بِالدُّخُولِ إِلَيْهِ ، والِاخْتِباءِ عَنْ أَنْظارِ غَرِيمَيْهِ .

عَبَثًا بَحَثَ الرَّجُلانِ عَنْ أَسِيرِهِما « نُونُو » فِى الْجُحْرِ الصَّغِيرِ . كانَ مَعَهُما عَصَوانِ تَنْتَهِى كِلْتاهُما بِحَدِيدَةٍ مُدَبَّبَةٍ . اِسْتَخْدَمَ الرَّجُلانِ عَصَوَيْهِما الْمُدَبَّبَتَيْنِ فِى الْبَحْثِ عَنْهُ فَلَمْ يَعْثُرا لَهُ عَلَى أَثَرٍ .

لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بالِهِما أَنَّ بَيْتَ « فُوَيْرَةَ » ـ عَلَى صِغَرِهِ ـ طَوِيلٌ عَمِيقٌ ، وإِنْ بَدا ـ لِعَيْنِ مَنْ يَراهُ ـ شَدِيدَ الضِّيقِ .

٣ — يَأْسُ الرَّجُلَيْنِ

سادَ ظَلامُ اللَّيْلِ . تَعَذَّرَتِ الرُّؤْيَةُ عَلَيْهِما .

عَبَثًا حاوَلا الِاهْتِداءَ إِلَى أَسِيرِهِما . لَمْ يَلْبَثِ الْيَأْسُ أَنْ

دَبَّ إِلَى قَلْبِهِما . كَفَّا مُرْغَمَيْنِ عَنْ مُحاوَلَتِهِما .

لَمْ يَبْقَ أَمامَهُما إِلَّا أَنْ يَسْتَأْنِفا سَيْرَهُما ، وَيَعُودا إِلَى بَلَدِهِما ، بَعْدَ أَنْ أَخْفَقَ سَعْيُهُما ، وَضاعَتْ نُقُودُهُما ، وَتَبَدَّدَتْ أَحْلامُهُما .

كانَ حُزْنُهُما لِفَقْدِ « نُونُو » لا يَعْدِلُهُ إِلَّا فَرَحُ « نُونُو » بِخَلاصِهِ مِنْهُما ، وَابْتِهاجُ الْقارِئِ بِانْتِصارِ « نُونُو » عَلَيْهِما .

٤ ــ خَواطِرُ « نُونُو »

لَمْ يَكَدِ الرَّجُلانِ يَبْتَعِدانِ ، حَتَّى أَسْرَعَ « نُونُو » بِالْخُرُوجِ مِنْ جُحْرِ « فُوَيْرَةَ » . خُيِّلَ إِلَى « نُونُو » حِينَئِذٍ أَنَّ الدُّنْيا - عَلَى رُحْبِها ، وَاتِّساعِ آفاقِها - لا تَكادُ تَسَعُهُ لِشِدَّةِ فَرْحَتِهِ بِخَلاصِهِ مِنْ آسِرَيْهِ ، واسْتِرْدادِ حُرِّيَّتِهِ مِنْ غَرِيمَيْهِ .

كانَ أَوَّلَ ما يَعْنِيهِ ، أَنْ يُسْرِعَ بِالْعَوْدَةِ إِلَى أَبَوَيْهِ .

لٰكِنْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذٰلِكَ ؟

كَيْفَ يُواجِهُ ما يَعْتَرِضُهُ مِنْ صِعابٍ وَأَخْطارٍ ، بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ جُحْرِ الْفَارِ ؟ كانَ أَخْوَفَ ما يَخافُهُ ، وَأَخْشَى

ما يَخْشاهُ ، أَنْ تَنْزَلِقَ رِجْلاهُ ؛ فَيَسقُطَ فِي أَحَدِ الشُّقُوقِ الْعَمِيقَةِ الْمُبَلَّلَةِ بِالْماءِ ، وَيَغْرَقَ فِي مائِهِ الْغَزِيرِ ، أَوْ يَتَهَشَّمَ رَأْسُهُ الصَّغِيرُ . ذٰلِكَ بَعْضُ ما كانَ يَدُورُ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَواطِرَ مُزْعِجَةٍ ، جَدِيرَةٍ أَنْ تَحْرِمَهُ أَمْنَهُ وَراحَتَهُ ، وَتُبَدِّدَ أُنْسَهُ بِخَلاصِهِ وَفَرْحَتَهُ .

٥ — فِي قَوْقَعَةٍ

لٰكِنَّ « نُونُو » بَطَلَ قِصَّتِنا الْحَبِيبَ ، لا يَأْلَفُ الْعَجْزَ ، وَلا يَسْتَسْلِمُ لِلْيَأْسِ .

كانَ « نُونُو » — كَما قُلْتُ لَكَ — يُدْرِكُ أَنَّ الِاسْتِسْلامَ لِلْجَزَعِ ، يَضُرُّ وَلا يَنْفَعُ . كانَ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللُّطْفِ الْإِلٰهِيِّ .

كانَ يَعْرِفُ أَنَّ اللّٰهَ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ ناداهُ ، وَيُحَقِّقُ لَهُ أَمَلَهُ وَمُناهُ ، وَلا يُخَيِّبُ رَجاءَ مَنْ دَعاهُ .

راحَ « نُونُو » يُطِيلُ التَّأَمُّلَ فِيما حَوْلَهُ وَيُنْعِمُ الْفِكْرَ .

لَمْ يَلْبَثْ « نُونُو » أَنْ عَثَرَ عَلَى قَوْقَعَةٍ فارِغَةٍ كانَتْ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ .

دَبَّ الْأَمَلُ إِلَى قَلْبِ « نُونُو » حِينَ رَأَى الْقَوْقَعَةَ الْفارِغَةَ : وَجَدَ فِيها مَكانًا صالِحًا لِنَوْمِهِ ، وَراحَتِهِ مِنْ مَتاعِبِ يَوْمِهِ .

عَزَمَ عَلَى أَنْ يَقْضِيَ فِيها لَيْلَتَهُ ، لَعَلَّ اللهَ يُبَدِّلُ مِنْ ضِيقِهِ فَرَجًا وَمِنْ عُسْرِهِ يُسْرًا .

٦ — حدِيثٌ خَطِيرٌ

لَمْ تَكَدْ عَيْناهُ تَغْتَمِضانِ، حَتَّى طارَ مِنْهُما النَّوْمُ .

حاوَلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ .

تَسْأَلُنِي : ماذا أَزْعَجَ « نُونُو » وَحَزَنَهُ وَهَمَّهُ ، وَأَقْلَقَ بالَهُ وَأَطارَ نَوْمَهُ ؟

إِلَيْكَ جَوابَ سُؤالِكَ :

سَمِعَ « نُونُو » رَجُلَيْنِ يَتَحَدَّثانِ عَلَى بُعْدِ خُطُواتٍ قَلِيلَةٍ مِنْهُ .

كانَ حَدِيثًا خَطِيرًا . لَمْ يَكَدْ يُصْغِي إِلَيْهِ ، حَتَّى أَرْهَفَ أُذُنَيْهِ ، وَاسْتَوْلَى الْحُزْنُ عَلَيْهِ ، وَطارَ النَّوْمُ مِنْ عَيْنَيْهِ .

٧ ـــ مُؤَامَـرَةُ اللِّصَّـيْنِ



تُرَى : أَىُّ حَـدِيثٍ سَمِعَهُ « نُونُو » الصَّـغِيرُ ؟ كانَ عَـلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْقَوْقَعَةِ الَّتِي اخْتارَها « نُونُو » لِنَوْمِهِ رَجُلانِ مِنَ

الشُّطَّارِ (الْخُبَثاءِ الْأَشْرارِ).

كانَ الشّاطِرانِ « نَيْرَبُ » و « هامانُ » يَتَحَدَّثانِ، وَيَتَناقَشانِ بِصَوْتٍ خافِتٍ وَيَتَشاوَرانِ .

أَدْرَكَ « نُونُو » مِنْ حِوارِهِما أَنَّهُما أَفَّاقانِ خَبِيثانِ ، وَلِصّانِ شِرِّيرانِ ، يَأْتَمِرانِ بِأَحَدِ الْأَغْنِياءِ وَيُعِدّانِ الْعُدَّةَ لِلتَّسَلُّلِ إِلَى بَيْتِهِ وَسَرِقَتِهِ، واغْتِيالِ مالِهِ وَنَهْبِ ثَرْوَتِهِ ، وَسَلْبِ ذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ .

٨ — فَزَعُ اللِّصَّيْنِ

سَمِعَ « نُونُو » أَحَدَ اللِّصَّيْنِ يَقُولُ لِصاحِبِهِ : « خَبِّرْنِي - يا « نَيْرَبُ » - ماذا أَعْدَدْتَ وَنَوَيْتَ، لِسَرِقَةِ هٰذا الْبَيْتِ ؟ »

أَجابَهُ الآخَرُ : « خُطَّةٌ غانِمَةٌ رابِحَةٌ ، مُوَفَّقَةٌ ناجِحَةٌ ، لَنْ تُكَلِّفَنا عَناءً وَلا تَعَباً ، وَلَنْ تَقْتَضِيَنا مَشَقَّةً وَلا نَصَباً . سَتَرَى صِدْقَ ما أَقُولُ حِينَ أُخْبِرُكَ بِها ، وَأُفْضِي إِلَيْكَ بِتَفْصِيلِها . »

لَمْ يَكَدْ « نَيْرَبُ » يُتِمُّ جُمْلَتَهُ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَعَلَى صاحِبِهِ الْخَوْفُ والْفَزَعُ، وَتَمَلَّكَهُما الرُّعْبُ والْهَلَعُ .

٩ — مُفاجَأَةٌ راعِبَةٌ

تَسْأَلُنِي أَيُّها الصَّغِيرُ الْعَزِيزُ :

ماذا خَوَّفَ اللِّصَّيْنِ وَرَعَّبَهُما ، وَأَيُّ خَطْبٍ أَزْعَجَهُما وَفَزَّعَهُما ؟ إِلَيْكَ يُساقُ الْحَدِيثُ :

سَمِعَ الْأَفَّاقانِ الْخَبِيثانِ « نَيْرَبٌ » و « هامانُ » صَوْتَ « نُونُو » بَطَلِ قِصَّتِنا الْحَبِيبِ يُنادِيهِما ، فَتَمَلَّكَ الذُّعْرُ قَلْبَيْهِما .

كَفَّ اللِّصَّانِ عَنْ مُناقَشَتِهِما وَحِوارِهِما .

هَمَسَ « نَيْرَبٌ » فِي أُذُنِ صاحِبِهِ مُسائِلًا : « أَلا تَسْمَعُ ما أَسْمَعُ ؟ »

أَجابَهُ « هامانُ » بِصَوْتٍ خافِتٍ :

بَلَى يا « نَيْرَبُ » . سَمِعْتُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَّا صَوْتَ إِنْسانٍ : سَمِعْتُ صَوْتَهُ واضِحًا جَلِيًّا ، لا لَبْسَ فِيهِ وَلا غُمُوضَ . »

تَرَدَّدَ الصَّوْتُ مِنْ جَدِيدٍ . عاوَدَ اللِّصَّيْنِ الْخَوْفُ والْجَزَعُ ، واشْتَدَّ بِهِما الرُّعْبُ والْفَزَعُ .

قَفَّ شَعْرُ رَأْسِهِما ، لِهَوْلِ ما أَصابَهُما .

أَرْهَفا آذانَهُما ، وَتَسَمَّرا فِي مَكانِهِما .

١٠ — حَـدِيثُ « نُونُو »

اِبْتَـدَرَهُما « نُونُو » قائِلًا : « اِسْتَمِعا إِلَىَّ أَيُّهـا الْعَزِيزانِ . أَنْصِتا لِما أَقُولُ : عِنْـدِى خُطَّـةٌ ناجِحَـةٌ تُبَلِّغُـكُما ماتُرِيدانِ . أَنَا أَقْدَرُ النَّـاسِ عَلَى إِسْعادِكُما ، وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِـكُما وَإِنْجاحِ سَعْيِـكُما ، وَجَلْبِ الثَّرْوَةِ الطَّائِلَةِ إِلَيْـكُما.

سَتَشْهَدانِ كَيْفَ أُنْجِزُ وَعْـدِى ، وَأَفِى لَـكُما بِعَهْـدِى ، إِذا شَرَّفْتُمانِى بِصُحْبَتِـكُما ، وَمَنَحْتُمانِى ثِقَتَـكُما ، وَرَكَنْتُـما إِلَىَّ ، واعْتَمَدْتُما عَلَىَّ.

١١ — اِقْـتِراحُ « نُونُو »

سَأَلَهُ اللِّصَّانِ مُتَعَجِّبَيْنِ :

« خَبِّرْنا — قَبْـلَ كُلِّ شَيْءٍ — أَيْنَ أَنْتَ ؟ وَمِنْ أَىِّ الْبِـلادِ قَدِمْتَ ؟ ما بالُنـا نَسْمَعُ صَوْتَكَ بِالْقُرْبِ مِنّـا وَلا نَراكَ ! »

أَجابَهُما « نُونُو » : « أَرْهِفا السَّمْعَ ، خَفِّضا الْبَصَرَ وَأَنْعِما النَّظَرَ . اِقْتَرِبا مِنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ : تَرَيانِى أَمامَـكُما ، مُسْتَجِيبًا لِمَشِيئَتِـكُما ، مُحَقِّقًا لِرَغَباتِـكُما . »

فَـرِحَ اللِّصَّانِ بِـما قالَ «نُونُو» . لَمْ يَـتَرَدَّدا فِى الْأَخْـذِ بِرَأْيِهِ والْمُوافَقَـةِ عَلَى اقْتِراحِـهِ ، والْعَمَـلِ بِنَصِيحَتِـهِ .

أَنْعَمَ اللِّصَّانِ النَّظَرَ ، وأَرْهَفا السَّمْعَ وَخَفَّضا الْبَصَرَ ، واتَّجَها إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ ، فَلَمْ يَلْبَثـا أَنِ اهْتَدَيا إِلَيْـهِ ، وَعَثَرا عَلَيْـهِ .

١٢ — دَهْشَةُ اللِّصَّيْنِ

لَمْ يَـكَدِ اللِّصَّـانِ يَقْـتَرِبانِ مِنْ بَطَـلِ قِصَّتِنـا الْحَبِيبِ حَـتَّى عَجِبـا . رَأَيا قَـزَمًا مُفْـرِطًا فِى الْحَقـارَةِ والصِّـغَرِ ، مُتَناهِيًـا فِى الضَّآلَةِ والْقِصَرِ . كادا لا يُصَـدِّقانِ أَعْيُنَهُما .

رَفَعَـهُ « نَيْرَبُ » بِإِصْبَعَيْـهِ ، وَقَـرَّبَهُ مِـنْ عَيْنَيْـهِ !

سَـأَلَهُ والْعَجَبُ آخِـذٌ مِنْـهُ كُلَّ مَأْخَـذٍ :

« أَىُّ مَخْلُوقٍ عَجِيبٍ أَنْتَ ؟ بِرَبِّكَ إِلَّا ما خَـبَّرْتَنا : أَجِنِّىٌّ ما نَشْهَـدُ أَمْ إِنْسانٌ ، وَحَشَرَةٌ ما نَرَى أَمْ حَيَـوانٌ ؟ »

أَجابَهُ « نُونُو » : « لا عَلَيْـكُما أَيُّهـا الْعَزِيزانِ . أَنَا مِثْلُـكُما إِنْسانٌ : أَشْعُرُ بِما تَشْعُرانِ ، وَأُفَكِّرُ كَـما تُفَـكِّرانِ .

لا تُهَوِّنا مِنْ أَمْـرِى ، وَلا تُحَقِّـرا ما عَظُمَ مِنْ قَدْرِى .

لَنْ يَضِيرَكُما ما تَرَيانِ مِن قِصَرِ جِسْمِى ، وَضَآلَةِ حَجْمِى ؛ ما دُمْتُ صَحِيحَ الْجِسْمِ سَلِيمَ الْعَقْلِ ، أُحْسِنُ التَّفْكِيرَ وَأُجِيدُ التَّعْبِيرَ ، وَأُصِيبُ فِى الرَّأْىِ وَلا أُخْطِئُ التَّدْبِيرَ .

ما أَجْدَرَكُما أَلَّا تَتَعَجَّلا الْحُكْمَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ تَخْتَبِرا قُوَّتِى ، وتَتَبَيَّنا بَراعَتِى وكِفايَتِى ، وتَتَثَبَّتا مِنْ رَجاحَةِ عَقْلِى وَنَجاحِ خُطَّتِى !

لا تَنْسَيا قَوْلَ مَنْ سَبَقَنا مِنَ الْحُكَماءِ :

« عِنْدَ الِامْتِحانِ ، يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهانُ » !

اِبْتَدَرَهُ « هامانُ » مُتَهَكِّمًا : « ما أَحْوَجَنا إِلَى تَعَرُّفِ خُطَّتِكَ ، والِانْتِفاعِ بِمَشُورَتِكَ ! ها نَحْنُ أُولاءِ نُصْغِى إِلَيْكَ وَنَعْتَمِدُ عَلَيْكَ . خَبِّرْنا ، أَيُّها الْمُغامِرُ الصَّغِيرُ : ماذا أَعْدَدْتَ لَنا مِنْ تَدْبِيرٍ ، وقَرارٍ خَطِيرٍ ؟ »

قاطَعَهُ « نَيْرَبُ » قائِلًا :

« مَنْ يَدْرِى : لَعَلَّهُ بَطَلٌ مِنَ الْأَبْطالِ ، قادِرٌ عَلَى نَقْلِ الْجِبالِ ، وتَذْلِيلِ الْمُحالِ ، وَإِدْراكِ ما لا يُنالُ ! »

١٣ — خُطَّةُ « نُونُو »

اِلْتَفَتَ « نُونُو » إِلَى اللِّصَّيْنِ قائِلاً :

« لا حاجَةَ بِكُما إِلَى مَنْ يُذَلِّلُ الْمُحالَ ، ويَنْقُلُ الْجِبالَ ، ويُدْرِكُ ما لا يُنالُ .

الْأَمْرُ أَيْسَرُ مِمَّا ظَنَنْتُما ، وَأَهْوَنُ مِمَّا قَدَّرْتُما .

لَسْتُ أَطْلُبُ إِلَيْكُما أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُخْلِدا إِلَىَّ بِثِقَتِكُما .

لَنْ تَطُولَ حَيْرَتُكُما ، بَعْدَ أَنْ أُحَقِّقَ لَكُما مُرادَكُما .

كُونا عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْفَوْزِ والنَّجاحِ ؛ مَتَى وافَقْتُما عَلَى رَأْيِي وَأَخَذْتُما بِما أَعْرِضُهُ عَلَيْكُما مِنِ اقْتِراحٍ .

حَسْبِي مِنْكُما ، أَنْ يَحْمِلَنِي أَحَدُكُما إِلَى نافِذَةِ بَيْتِ الْغَنِيِّ الَّذِي تَقْصِدانِ إِلَى سَرِقَتِهِ ، وَتَهْدِفانِ إِلَى سَلْبِ ذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ .

لَنْ أَطْلُبَ مِنْكُما — بَعْدَ هٰذا — مُعاوَنَةً وَلا مُساعَدَةً .

حَسْبُكُما أَنْ تَقِفا مِنِّي وِقْفَةَ الْمُتَفَرِّجِ ، ثُمَّ تَشْهَدا كَيْفَ أَتَسَلَّلُ مِنْ قُضْبانِ النَّافِذَةِ الْحَدِيدِيَّةِ إِلَى بَيْتِ الْغَنِيِّ ، وأُلْقِي إِلَيْكُما بِما تُرِيدانِ مِنْ غَوالِي التُّحَفِ ، وَنَفائِسِ الطُّرَفِ . »

١٤ — مُوافَقَةُ اللِّصَّيْنِ

فَرِحَ الْأَفّاقانِ بِاقْتِراحِ « نُونُو » .

وَجَدا فِي اقْتِراحِهِ الْعَجِيبِ ما يُحَقِّقُ غَرَضَهما ، وَيُنْجِحُ سَعْيَهُما ، دُونَ خَوْفٍ وَلا حَذَرٍ ، وَلا تَعَرُّضٍ لِخَطَرٍ .

أَقْبَلَ عَلَيْهِ اللِّصّانِ شاكِرَيْنِ ، فَرِحَيْنِ بِاقْتِراحِهِ مُرَحِّبَيْنِ .

ابْتَدَرَهُ « نَيْرَبُ » قائِلًا : « يالَكَ مِنْ قَزَمٍ كَيِّسٍ ظَرِيفٍ ، مُغامِرٍ مُؤْنِسٍ حَصِيفٍ . ما أَيْسَرَ خُطَّتَكَ ، وَأَبْرَعَ مَشُورَتَكَ . »

عَقَّبَ « هامانُ » قائِلًا : « ما أَنْفَذَ بَصِيرَتَكَ وَأَحْكَمَ رَأْيَكَ وَأَصْدَقَ فِراسَتَكَ ! »

قالَ « نَيْرَبٌ » : « الآنَ تَبَيَّنَ لَنا سَدادُ رَأْيِكَ ، وَكَمالُ عَقْلِكَ . هَلُمَّ بِنا لِتُرِيَنا مَدَى قُدْرَتِكَ ، وَذَكائِكَ وَبَراعَتِكَ ؛ وَإِقْدامِكَ وَجَراءَتِكَ ، فِي إِنْجازِ خُطَّتِكَ ، وَتَحْقِيقِ فِكْرَتِكَ . »

أَجابَهُما « نُونُو » : « لَنْ تَرَيا مِنِّي — أَيُّها الْعَزِيزانِ — إِلّا ما يُحَقِّقُ رَغْبَتَكُما ، وَيُدْخِلُ الْبَهْجَةَ عَلَى قَلْبِكُما . »

١٥ — بَيْنَ قُضْبانِ النّافِذَةِ



أَسْرَعَ « نَيْرَبُ » إِلَيْهِ ، فَحَمَلَهُ بِإِصْبَعَيْهِ ، مُيَمِّمًا دارَ الْغَنِيِّ ؛ حَتَّى إِذا بَلَغَها وَضَعَهُ بَيْنَ قُضْبانِ النّافِذَةِ ، حَيْثُ تَسَلَّلَ مِنْها إِلَى داخِلِ الْبَيْتِ .

كانَ « نُونُو » ــ كَما قُلْتُ لَكَ ــ ذَكِيًّا ماهِرًا ، واسِعَ الْحِيلَةِ ماكِرًا . لا عَجَبَ إِذا خَدَعَ اللِّصَّيْنِ بِحِيلَتِهِ وذَكائِهِ ، وَغَرَّرَ بِهِما بِمَكْرِهِ وَدَهائِهِ !

أَتَدْرِى ماذا صَنَعَ « نُونُو » بِهِما ، وَكَيْفَ ضَلَّلَهُما وَضَحِكَ عَلَيْهِما ، وَتَغَفَّلَهُما وَسَخِرَ مِنْهُما ؟

صَبَرَ « نُونُو » حَتَّى تَمَّ لَهُ ما أَرادَ مِنْهُما ، وَأَصْبَحَ آمِنًا مِنْ شَرِّهِما ، ناجِيًا مِنْ غَدْرِهِما وانْتِقامِهِما .

الْتَفَتَ إِلَيْهِما « نُونُو » بَطَلُ قِصَّتِنا الذَّكِيُّ وَناداهُما بِصَوْتٍ عالٍ جَهْوَرِىٍّ : « خَبِّرانِى ، أَيُّها الْعَزِيزانِ ! خَبِّرْنِى يا « نَيْرَبُ » وَاصْدُقْنِى يا « هامانُ » : أَىَّ وَدائِعِ الْغَنِىِّ تُرِيدانِ ؟ وَأَىَّ نَفائِسِهِ تَخْتارانِ ؟ »

خَشِىَ اللِّصَّانِ أَنْ يَفْضَحَ « نُونُو » ما خَفِىَ مِنْ أَمْرِهِما ، وَيَكْشِفَ ما غَمُضَ مِنْ سِرِّهِما . أَسْرَعا إِلَيْهِ خائِفَيْنِ ، واقْتَرَبا مِنْهُ ذاهِلَيْنِ ، وَأَسَرَّا إِلَيْهِ هامِسَيْنِ : « خَفِّضْ مِنْ صَوْتِكَ أَيُّها الذَّكِىُّ الْهُمامُ ؛ حَتَّى لا تُوقِظَ النِّيامَ . »

١٧ — رَفْضُ الرَّجاءِ

لَمْ يَحْفِلْ «نُونُو» بِكَلامِهِما ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِنِدائِهِما .
ضَرَبَ «نُونُو» عُرْضَ الْأَرْضِ بِرَجائِهِما .
تَظاهَرَ أَنَّهُ عَيٌّ أَبْلَهُ أَصَمُّ ، بَلِيدُ الْحِسِّ بَطِيءُ الْفَهْمِ .
أَصَرَّ الْبَطَلُ الصَّغِيرُ ، عَلَى مُخاطَبَتِهِما بِصَوْتٍ جَهِيرٍ .
أَطْلَقَ صَوْتَهُ فِي الظَّلامِ ؛ لِيُوقِظَ النُّوَّامَ .
عاوَدَ صَيْحَتَهُ قائِلًا :

« اِسْتَمِعا إِلَيَّ أَيُّها الشَّاطِرانِ : هٰأَنَذا فِي بَيْتِ الْغَنِيِّ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ نَفائِسِهِ وَطُرَفِهِ ، وَبَدائِعِهِ وَتُحَفِهِ .

هٰأَنَذا كَما وَعَدْتُكُما : رَهْنُ إِشارَتِكُما ، وَطَوْعُ إِرادَتِكُما وأَمْرِكُما ، ومُحَقِّقُ رَغْبَتِكُما .

خَبِّرانِي ـ إِذَنْ ـ أَيُّها الشَّاطِرانِ : خَبِّرْنِي يا « نَيْرَبُ » ، واصْدُقْنِي يا « هامانُ » : أَيَّ مِقْدارٍ مِنْ ثَرْوَةِ الْغَنِيِّ تُرِيدانِ ، وَأَيَّ نَفائِسِهِ تَتْرُكانِ ؟ »

١٨ — هَرَبُ اللِّصَّيْنِ

صَحَتْ خادِمَةُ الْبَيْتِ مِنْ نَوْمِها، وانْتَبَهَتْ مِنْ لَذِيذِ أَحْلامِها. فَرَكَتْ عَيْنَيْها، وَأَرْهَفَتْ أُذُنَيْها.

سَكَنَ الصَّوْتُ، وَسادَ الْهُدُوءُ والصَّمْتُ...

عادَتِ الْخادِمَةُ إِلَى نَوْمِها، واسْتَسْلَمَتْ لِأَحْلامِها.

أَيْقَنَ اللِّصّانِ أَنَّ سِرَّهُما وَضَحَ، وَأَمْرَهُما افْتَضَحَ. تَراجَعا خائِفَيْنِ، وَتَسَلَّلا هارِبَيْنِ.

تَلَفَّتا ـ بَعْدَ قَليلٍ ـ حَوْلَهُما، فَلَمْ يَجِدا أَحَدًا يَتْبَعُهُما.

لَمْ تَلْبَثِ الطُّمَأْنِينَةُ أَنْ عادَتْ إِلى قَلْبِهِما.

وَقَفا عَلَى مَسافَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ مِنَ الدّارِ يَتَرَقَّبانِ وَيَتَلَفَّتانِ. وَجَدا الْهُدُوءَ والصَّمْتَ يَسُودانِ الْمَكانَ.

عادا أَدْراجَهُما، لِيَتَثَبَّتا مِنْ صِدْقِ ظَنِّهِما.

أَدارا فِي كُلِّ مَكانٍ لِحاظَهُما.

تَلَفَّتا حَوْلَهُما. وَأَرْهَفا آذانَهُما، لِيَتَعَرَّفا مايَدُورُ حَوْلَهُما. وَجَدا هُدُوءًا شامِلًا، وَسُكُونًا تامًّا.

أَيقَنا أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لا يَزالُونَ نائِمِينَ .

عاوَدَهُما الطَّمَعُ ، بَعْدَ أَنْ فارَقَهُما الْخَوْفُ والْجَزَعُ .

زَيَّنَ لَهُما الشَّيْطانُ أَنْ يَسْتَأْنِفا سَعْيَهما ، وَيَبْذُلا جُهْدَهُما .

عاوَدَهُما الْأَمَلُ فى الْوُصُولِ إِلَى غايَتِهِما ، والظَّفَرِ بِأُمْنِيَّتِهِما .

١٩ ـــ مُناقَشَةٌ شاكِيَةٌ

وَقَفَ اللِّصَّانِ يَتَشاكَيانِ وَيَتَناقَشانِ .

قالَ « نَيْرَبٌ » لِصاحِبِهِ : « ما أَعْجَبَ أَمْرَ هٰذا الْقَزَمِ الْماكِرِ الْخَبِيثِ ! شَدَّ ما أَتْعَبَنا وَكَرَبَنا ، وَضَلَّلَنا وَخَيَّبَ سَعْيَنا ! »

قالَ « هامانُ » : « صَدَقْتَ ـ يا « نَيْرَبُ » ـ صَدَقْتَ .

عَرَفَ الْخَبِيثُ كَيْفَ يَغْدِرُ بِنا وَيَضْحَكُ عَلَيْنا ، وَيَخْدَعُنا وَيَسْخَرُ مِنَّا . »

قالَ « نَيْرَبٌ » : « خَبِّرْنِى : كَيْفَ نَصْنَعُ فِي أَمْرِهِ ، وَأَىَّ سَبِيلٍ نَسْلُكُ لِدَفْعِ كَيْدِهِ ، والْخَلاصِ مِنْ أَذِيَّتِهِ وَشَرِّهِ ، وَرَدِّ سَهْمِهِ الْغادِرِ إِلَى نَحْرِهِ . »

قالَ « هامانُ » : « لا قُدْرَةَ لَنا عَلَى مُغاضَبَتِهِ ، وَتَأْدِيبِهِ وَمُعاقَبَتِهِ . »

قالَ « نَيْرَبُ » : « لَمْ يَبْقَ أَمامَنا إِلَّا مُلاطَفَتُه وَمُصانَعَتُهُ ، وَتَمْلِيقُهُ وَمُداهَنَتُهُ . »

قالَ « هامانُ » : « فَلْنُجَرِّبْ ذٰلِكَ ، ما وَسِعَتْنا الْحِيلَةُ وَأَسْعَفَتْنا الْوَسِيلَةُ . »

٢٠ — مُحاوَلَةٌ جَدِيدَةٌ

اِقْتَرَبَ اللِّصّانِ : « نَيْرَبٌ » وَ « هامانُ » مِنْ بَيْتِ الْغَنِيِّ . رَأَيا « نُونُو » لا يَزالُ واقِفًا بَيْنَ قُضْبانِ النّافِذَةِ ، حَيْثُ تَرَكاهُ .

اِقْتَرَبا مِنْهُ مُتَوَدِّدَيْنِ ، وأَقْبَلا عَلَيْهِ مُتَحَبِّبَيْنِ .

أَسَرَّ إِلَيْهِ « نَيْرَبُ » قائِلًا : « شَدَّ ما فَتَنَتْنا دُعابَتُكَ ولُطْفُكَ ، وسَحَرَنا إِيناسُكَ وظَرْفُكَ . ما أَسْعَدَنا بِلِقائِكَ ومَعْرِفَتِكَ .

ما كُنّا نَظُنُّ - قَبْلَ أَنْ نَشْرُفَ بِمُصاحَبَتِكَ ، ونَظْفَرَ بِمُعاوَنَتِكَ ، وَنَحْظَى بِعَطْفِكَ وَثِقَتِكَ - أَنَّ اللهَ سُبحانَهُ ، مَيَّزَكَ بِهٰذا الْفَضْلِ مِنَ الْفِطْنَةِ والذَّكاءِ ، وأَفْرَدَكَ بِهٰذا الْقَدْرِ مِنَ الْبراعَةِ والدَّهاءِ .

كَيْفَ - إِذَنْ - يَخْفَى أَمْرُنا عَلَى ذَكائِكَ وفِطْنَتِكَ، وَسَدَادِ رَأْيِكَ وَصِدْقِ أَلْمَعِيَّتِكَ؟ كَيْفَ يَخفَى عَلَى حِكْمَتِكَ، وَصادِقِ فِراسَتِكَ، ما نُعانِي مِنْ أَلْوانِ الْحِرْمانِ والضِّيقِ والْحَرَجِ، وما نُرَجِّي عَلَى يدَيْكَ مِنْ أَسْبابِ الرَّخاءِ وَالْغِنَى والْفَرَجِ؟ »

قالَ « هامانُ »: « إِنَّ ما طُبِعَتْ عَلَيْهِ نَفْسُكَ مِنْ مُرُوءَةٍ وَكَرَمٍ وَخَيْرٍ، جَدِيرٌ أَنْ يَصْرِفَ عَنَّا ما نَلْقاهُ مِنْ شَرٍّ وَضَيْرٍ. »

قالَ « نَيْرَبُ »: « حاشا مِثْلَكَ أَنْ يَتَنَكَّرَ لِعَهْدِهِ، وَيُخْلِفَ الْمَأْمُولَ مِنْ وَعْدِهِ! »

قالَ « هامانُ »: « ما أَجْدَرَكَ أَنْ تُصْغِيَ إِلَى دُعائِنا، وَتَسْتَجِيبَ لِرَجائِنا، وَتَشْمَلَنا بِعَطْفِكَ وَمَحَبَّتِكَ، وتَكُفَّ عَنْ مُزاحِكَ وَدُعابَتِكَ! »

قالَ « نَيْرَبُ »: « إِنَّ مُزاحَكَ وَدُعابَتَكَ آيَتانِ مِنْ آياتِ الرَّوْعَةِ والْجَمالِ، وَلٰكِنْ لِكُلِّ مَقامٍ - كما عَلِمْتَ - مَقالٌ. »

قالَ « هامانُ »: « هاتِ أَيُّها الْغالِي الْعَزِيزُ، ما وَعَدْتَنا مِنْ فِضَّةٍ خالِصَةٍ وَذَهَبٍ إِبْرِيزٍ. »

قالَ « نَيْرَبٌ » : « هاتِ ما تَصِلُ إِلَيْـهِ يَداكَ مِنْ ذَهَبِ الْـغَنِيِّ وَفِـضَّتِهِ ، وَنَفائِسِ ثَرْوَتِـهِ . »

٢١ — بَراعَـةُ « نُونُو »

لَمْ يَأْبَهْ « نُونُو » لَهُما . لَمْ تَجُزْ عَلَيْهِ حِيلَتُهُما ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِرَجائِـهِما . لَمْ يَخْدَعْهُ مَدِيحُهُما وَثَناؤُهُما ، وَتَزَلُّفُهُما وَتَمْلِيقُهُما .

أَصَرَّ « نُونُو » عَلَى حِرْمانِـهِما ، وَمُعاقَبَتِـهِما وَتَأْدِيبِـهِما .

أَبَى إِلَّا أَنْ يُمْعِنَ فِي تَحْقِـيرِهِما ، والسُّخْرِيَةِ مِنْهُما .

عَمَدَ إِلَى تَجاهُلِ الْعارِفِ الذَّكِيِّ ، وَتَغابِي الْفَطِنِ الْأَلْمَعِيِّ .

تَظاهَـــرَ أَنَّهُ غَبِيٌّ أَصَمُّ ، بَلِيدُ الْحِسِّ بَطِيءُ الْـفَهْمِ .

أَبَى إِلَّا أَنْ يَتَناسَى دُعاءَهُما ، وَيَتَجاهَـلَ رَجاءَهُما .

أَجابَهُما الْبـارِعُ الصَّـغِيرُ ، بِصَوْتٍ مَرْفُوعٍ جَهِيرٍ :

« مَرْحَبًا بِـكُما . السَّمْعُ والطَّـاعَةُ لَـكُما .

شُكْرًا جَزِيلًا عَلَى ما أَظْهَرْتُما لِي مِنْ إِخْلاصٍ وَإِعْجابٍ وَمَوَدَّةٍ ، وَما غَمَرْتُمانِي بِهِ مِنْ ثَنـاءٍ وَعَطْفٍ وَمَحَبَّـةٍ .

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُـكُما ، وَلْيَهْدَأْ بالُـكُما . لَنْ أُقَصِّرَ فِي إِرْضائِـكُما .

كُلُّ شَىْءٍ هُنا عَلَى ما يُرامُ:
الْأَمْوالُ كَثِيرَةٌ، والنَّفائِسُ مَوْفُورَةٌ.
خِزانَةُ الْمالِ مَمْلُوءَةٌ، والْكُنُوزُ فِيها مَخْبُوءَةٌ.
بَيْنِى وَبَيْنَها خُطُواتٌ. سَأُفْرِغُها فِى أَيْدِيكُما بَعْدَ لَحَظاتٍ.
سَتَكُونُ مِلْكًا خالِصًا لَكُما، إِذا تَأَنَّيْتُما وَصَبَرْتُما.
لٰكِنْ لِى بَعْدَ ذٰلِكُما، عَتْبًا عَلَيْكُما، وَسُؤالًا إِلَيْكُما:
خَبِّرانِى أَيُّها الشَّاطِرانِ الذَّكِيَّانِ، وَٱصْدُقانِى أَيُّها اللِّصَّانِ الشَّرِيفانِ:
ما بالُكُما تُفَضِّلانِ الصَّوْتَ الْهامِسَ الْخَفِىَّ، عَلَى الصَّوْتِ الْواضِحِ الْجَهْوَرِىِّ؟
ما بالُكُما تَهْرُبانِ مِنَ النُّورِ إِلَى الظَّلامِ، وتَسْعَيانِ إِلَى سَرِقَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَهُمْ نِيامٌ؟
أَجْدَرُ بِكُما وَأَشْرَفُ لَكُما أَنْ تَتَوَرَّعا عَنْ سَرِقَةِ النَّاسِ، وَتَتَرَفَّعا عَمَّا تَرْتَكِبانِ مِنْ خَسائِسَ وَأَرْجاسٍ.
تَبًّا لِمَنْ ضَلَّ وانْحَرَفَ، وَحادَ عَنْ طَرِيقِ النَّزاهَةِ والشَّرَفِ!

٢٢ — يَقَظَةُ الْخادِمَةِ

أَفاقَتِ الْخادِمَةُ مِنْ نَوْمِها الْعَميقِ .

سَمِعَتِ الْخادِمَةُ صَوْتَ « نُونُو » واضِحَ النَّبَراتِ ، فَصِيحَ الْعِباراتِ ، مُمَيَّزَ الْفِقَراتِ .

وَضَحَ الْأَمْرُ ، وانْكَشَفَ السِّرُّ .

أَيْقَنَتِ الْخادِمَةُ أَنَّها لَمْ تَكُنْ - فِيما سَمِعَتْ - حالِمَةً ، وَلا مَخْدُوعَةً واهِمَةً .

هَبَّتِ الْخادِمَةُ مِنْ نَوْمِها مَذْعُورَةً خائِفَةً ، ذاهِلَةً واجِفَةً .

دَوَّتْ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ صَيْحاتُها ، وَتَعالَتْ - فِي الْبَيْتِ - صَرَخاتُها .

٢٣ — هَرَبُ اللِّصَّيْنِ

ذُعِرَ اللِّصَّانِ مِنْ صِياحِها ، وَتَفَزَّعا مِنْ صُراخِها .

شَرَدَ مِنْهُما اللُّبُّ ، وانْخَلَعَ الْقَلْبُ .

أَيْقَنا بِإِخْفاقِهِما ، وَضَلالِ سَعْيِهِما .

عادا بِالْحَسْرَةِ والنَّدامَةِ ، وانْطَلَقا يَجْرِيانِ كالنَّعامَةِ ،

كَأَنَّ دُبًّا يُلاحِقُهما ، أَوْ ذِئْبًا يُطارِدُهُما !

لَوْ رَأَيْتَهُما ، لَما تَمالَكْتَ أَنْ تَضْحَكَ مِنْهُما ، وَتَعْجَبَ مِنْ غَباوَتِهِما وَخَيْبَتِهِما ، وَتَحْمَدَ لِبَطَلِ قِصَّتِنا تَغْرِيرَهُ بِهِما ، وَكَشْفَ ما خَفِيَ مِنْ أَمْرِهِما ، وَحِمايَةَ رَبِّ الدّارِ مِنْ كَيْدِهِما .

٢٤ — بَعْدَ الْهَرَبِ

أَسْرَعَتِ الْخادِمَةُ إِلَى الْمِصْباحِ فَأَوْقَدَتْهُ .

فَتَّشَتِ الْخادِمَةُ أَرْكانَ الْبَيْتِ وَحُجُراتِهِ ، وأَبْهاءَهُ وَقاعاتِهِ .

لَمْ تَقِفْ لَهُما الْخادِمَةُ عَلَى أَثَرٍ ، وَلَمْ تَعْثُرْ لَهُما عَلَى خَبَرٍ .

عاوَدَتْها الطُّمَأْنِينَةُ ، والْأَمْنُ والسَّكِينَةُ .

خُيِّلَ إِلَيْها أَنَّ ما سَمِعَتْهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا وَهْمًا مِنَ الْأَوْهامِ ، أَوْ حُلْمًا مِنَ الْأَحْلامِ .

عادَتِ الْخادِمَةُ مُتْعَبَةً إِلَى فِراشِها ، لِتَصِلَ ما قَطَعَتْهُ مِنْ نَوْمِها ...

١ — لَيْلَةٌ ساهِرَةٌ

لَمْ تَنَمِ الْخادِمَةُ طُولَ لَيْلِها.

فارَقَتْها الدَّعَةُ والسَّكِينَةُ، وَزايَلَها الأَمْنُ والطُّمَأْنِينَةُ.

طارَ النَّوْمُ مِنْ عَيْنَيْها. رَقَدَتْ فِي فِراشِها مُفَزَّعَةً لاحَراكَ بِها، لِفَرْطِ مااسْتَوْلَى مِنَ الرُّعْبِ عَلَيْها.

ظَلَّتْ مُؤَرَّقَةَ الْعَيْنَيْنِ، مَفْتُوحَةَ الْجَفْنَيْنِ.

ظَلَّتْ نَهْبَ الرُّعْبِ والذُّعْرِ، كَأَنَّما تَتَقَلَّبُ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

كانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى خاطِرِها صَوْتُ «نُونُو» فَيُفَزِّعُها، وَيُبَدِّدُ أَمْنَها وَيُرَوِّعُها. كانَ يَخْتَلِطُ عَلَيْها الْأَمْرُ، لِشِدَّةِ ما نابَها مِنَ الذُّعْرِ، فَلا تَدْرِي: أَفِي يَقَظَةٍ هِيَ أَمْ فِي مَنامٍ، وَحَقِيقَةٌ ما سَمِعَتْ فِي لَيْلَتِها أَمْ أَضْغاثُ أَحْلامٍ؟!

٢ — فِراشُ «نُونُو»

تَسْأَلُنِي، أَيُّها الْقارِئُ الْعَزِيزُ، عَنْ بَطَلِ قِصَّتِنا «نُونُو» الصَّغِيرِ: ماذا صَنَعَ؟

إِلَيكَ جوابَ سُؤالِكَ :

فَرِحَ « نُونُو » بِفِرارِ اللِّصَّيْنِ ونَجاةِ مَنْ فِى الدَّارِ ...

حَلَّ بِهِ التَّعَبُ لِطُولِ ما كابَدَ مِنْ عَناءٍ فِى نَهارِهِ وَلَيْلَتِهِ .

ذَهَبَ إِلَى الزَّرِيبَةِ لِيَنامَ .

فَتَّشَ « نُونُو » كُلَّ رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكانِ لَعَلَّهُ يَجِدُ مَكاناً يُؤْوِيهِ ، وَمَناماً يَسْتَرِيحُ فِيهِ .

لَمْ يَلْبَثْ « نُونُو » أَنْ عَثَرَ عَلَى طِلْبَتِهِ بَيْنَ كُوماتِ الدَّرِيسِ .

اِبْتَهَجَ « نُونُو » بِما وَجَدَ .

رَأَى فِى كُوماتِ الدَّرِيسِ مَكاناً صالِحًا لِراحَتِهِ وَنَوْمِهِ ، يُنْسِيهِ ما لَقِىَ مِنْ عَذابِ يَوْمِهِ .

خُيِّلَ إِلَى بَطَلِنا الصَّغِيرِ ، وَهُوَ يَنامُ مُسْتَرِيحَ الْقَلْبِ مُرْتاحَ الضَّمِيرِ ، أَنَّهُ ظَفِرَ بِفِراشٍ وَثِيرٍ .

كانَ « نُونُو » يَنْعَمُ بِنَوْمٍ هادِئٍ هَنِىٍّ ، فَوْقَ سَرِيرِهِ الدَّرِيسِىِّ ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَنامُ فِى سَرِيرٍ فِضِّىٍّ أَوْ ذَهَبِىٍّ ، وَيَتَقَلَّبُ عَلَى فِراشٍ دِيباجِىٍّ أَوْ حَرِيرِىٍّ .

قَضَى « نُونُو » لَيْلَتَهُ هادِئَ النَّفْسِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ مُسْتَرِيحَ الْبالِ ، مُتَجَدِّدَ الرَّغَباتِ والآمالِ .

٣ ـــ أَحْلامُ « نُونُو »

رَأَى « نُونُو » ـ فِيما رَأَى مِنْ لَذِيذِ مَنامِهِ ، وَبَهِيجِ أَحْلامِهِ ـ صُوَرًا عَجِيبَةً لِمَا يُفَكِّرُ فِيهِ ، مِنْ رَغَباتِهِ وَأَمانِيهِ ، فِي حاضِرِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ وَماضِيهِ .

شَهِدَ « نُونُو » ـ فِيما شَهِدَ مِنْ أَحْلامِهِ ـ طَرائِفَ مِمَّا تَخَيَّلَهُ وَتَصَوَّرَهُ ، وَبَدائِعَ مِمَّا رَتَّبَهُ فِي ذِهْنِهِ وَقَدَّرَهُ .

كانَ أَبْهَجَ ما رَآهُ ، مِنْ صُوَرِ الْحَياةِ : عَوْدَتُهُ إِلَى أَبَوَيْهِ سالِمًا ، مَوْفُورَ الْبَشاشَةِ غانِمًا .

٤ ـــ فَطُورُ الْبَقَرَةِ

لَمْ يَكَدِ الْفَجْرُ يَطْلُعُ حَتَّى دَهِمَتْ « نُونُو » كارِثَةٌ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بالِهِ ، وَلَمْ تَمُرَّ يَوْمًا بِخَيالِهِ . كانَتْ فِي الْحَقِّ مُفاجَأَةً هائِلَةً ، وَمُباغَتَةً مُذْهِلَةً ، سُرْعانَ ما بَدَّدَتْ أَمانِيَّهُ وَخَيَّبَتْ آمالَهُ ، وَعَكَسَتْ رَغَباتِهِ وَأَحْلامَهُ ، وَجَدَّدَتْ أَحْزانَهُ وَآلامَهُ .

كانَ مِنْ عادَةِ الْخادِمَةِ أَنْ تَذْهَبَ فِي بُكْرَةِ الصَّباحِ إِلَى حَظِيرَةِ الدَّوابِّ لِتُعِدَّ فُطُورَ الْبَقَرَةِ وَتَحْلُبَها .

كانَ أَوَّلَ ما قَدَّمَتْهُ الْخادِمَةُ لِبَقَرَتِها - فِي هٰذا الْيَوْمِ - كُومَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الدَّرِيسِ .

٥ — كارِثَةٌ مُفاجِئَةٌ

وارَحْمَتا لِلْحَبِيبِ « نُونُو » !

ما أَعْجَبَ ما يَلْقاهُ ، مِنْ مَصائِبِ الْحَياةِ !

تَأْبَى الْحَوادِثُ الْأَلِيمَةُ الْمُتَعاقِبَةُ ، والْكَوارِثُ الْمُفاجِئَةُ الرَّاعِبَةُ ، إِلَّا أَنْ تَحْزُنَ بَطَلَ قِصَّتِنا الصَّغِيرَ وَتَكْرُبَهُ ، وَتُلاحِقَهُ وَتَتَعَقَّبَهُ .

تَأْبَى عَلَيْهِ الْمُصادَفاتُ التَّاعِسَةُ إِلَّا أَنْ يَخْتارَ لِنَوْمِهِ كُومَةَ الدَّرِيسِ الَّتِي بَدَأَتِ الْخادِمَةُ بِتَقْدِيمِها إِلَى الْبَقَرَةِ .

لَمْ تَدْرِ الْخادِمَةُ أَيَّ إِساءَةٍ أَسْلَفَتْ ، وَأَيَّ جُرْمٍ اقْتَرَفَتْ !

لَمْ تَدْرِ الْخادِمَةُ أَيُّ ذُخْرٍ غالٍ نَفِيسٍ ، تَحْوِيهِ كُومَةُ الدَّرِيسِ .

لَمْ يَخْطُرْ بِبالِ الْخادِمَةِ أَنَّها قَدَّمَتْ لِلْبَقَرَةِ - عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ - بَطَلَ قِصَّتِنا الْحَبِيسَ ، فِى كُومَةِ الدَّرِيسِ !

٦ — مَأْزِقٌ حَرِجٌ

كانَ « نُونُو » - حِينَئِذٍ - يَغُطُّ فِى نَوْمٍ عَمِيقٍ .

لَمْ يَشْعُرْ « نُونُو » - أَوَّلَ الْأَمْرِ - بِالْكارِثَةِ الَّتِى تَسْتَقْبِلُهُ .

لٰكِنَّهُ سُرْعانَ ما صَحا مُفَزَّعًا مِنْ مَنامِهِ ، وانْتَبَهَ مُرَوَّعًا مِنْ لَذِيذِ أَحْلامِهِ .

لا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ « نُونُو » حِينَ شَهِدَ الْبَقَرَةَ تَشْرَعُ فِى الْتِهامِ حُزْمَةِ الدَّرِيسِ ، وَهُوَ فِيها سَجِينٌ حَبِيسٌ .

لا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّهَشِ والْحَيْرَةِ ، حِينَ رَأَى نَفْسَهُ يَقْتَرِبُ مِنْ فَمِ الْبَقَرَةِ .

حاوَلَ أَنْ يَقْفِزَ مِنْ كُومَةِ الدَّرِيسِ قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَهُ الْخَطَرُ .

كانَ لِسانُ الْبَقَرَةِ الطَّوِيلُ أَسْرَعَ إِلَى اخْتِطافِهِ .

لَمْ يَكَدْ يَتَبَيَّنُ ما هُوَ قادِمٌ عَلَيْهِ مِنْ هَوْلٍ حَتَّى تَفَزَّعَ واضْطَرَبَ ، وارْتَبَكَ فِى أَمْرِهِ وارْتَعَبَ .



كانَ أَخْوَفَ ما يَخافُهُ « نُونُو » أَنْ تَمْضُغَهُ الْبَقَرَةُ بِأَسْنانِها ، قَبْلَ أَنْ تُزْلِقَهُ إِلَى حَلْقِها ، وَتُسْلِمَهُ إِلَى جَوْفِها ، وَهُوَ أَعْجَزُ ما يَكُونُ عَنْ دَفْعِ أَذاها وَمُقاوَمَتِها .

تَسْأَلُنِي : ماذا صَنَعَ « نُونُو » حِينَ واجَهَ ما يَتَهَدَّدُهُ مِنْ خَطَرٍ مُحْدِقٍ ، وَأَيُّ حِيلَةٍ عَمَدَ إِلَيْها لِلْخُرُوجِ مِنْ هٰذا الْمَأْزِقِ ؟ !

إِلَيْكَ يُساقُ الْحَدِيثُ :

ظَلَّ « نُونُو » ثابِتَ الْعَزْمِ قَوِيَّ الْبَأْسِ ؛ لا يَتَسَرَّبُ إِلَى نَفْسِهِ قُنُوطٌ وَلا يَأْسٌ .

كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفادَى الْخَطَرَ ، فِي أَقَلَّ مِنْ وَمْضَةِ الْبَرْقِ وَلَمْحَةِ الْبَصَرِ .

٧ — فِي جَوْفِ الْبَقَرَةِ

أَتَدْرِي كَيْفَ صَنَعَ « نُونُو » لِيَخْلُصَ مِنْ مِحْنَتِهِ ، وَيَنْجُوَ مِنْ وَرْطَتِهِ ؟

أَتَدْرِي كَيْفَ أَحْكَمَ الرَّأْيَ وَأَحْسَنَ التَّدْبِيرَ ، لِلْخَلاصِ مِنْ هٰذا الْمَأْزِقِ الْخَطِيرِ ، وَدَفْعِ ما يَتَهَدَّدُهُ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ ؟

قَذَفَ « نُونُو » بِنَفْسِهِ مِنْ شَفَتَيِ الْبَقَرَةِ إِلَى حَلْقِها ؛ مُنْدَفِعًا إِلَى جَوْفِها ؛ قَبْلَ أَنْ تَطْحَنَهُ بِأَسْنانِها .

٦ — ظَلامٌ حالِكٌ

وارَحْمَتا لِلْحَبِيبِ « نُونُو » . اِنْتَقَلَ مِنْ مِحْنَةٍ إِلَى مِحْنَةٍ .

كانَ الظَّلامُ يَسُودُ الْمَكانَ . ضَجِرَ « نُونُو » بِما يُحِيطُ بِهِ مِنْ ظَلامٍ . صاحَ « نُونُو » مُغَوِّثًا مُسْتَنْجِدًا :

« اللُّطْفَ يا رَبَّاهُ ! الْغَوْثَ يا أُمَّاهُ ! النَّجْدَةَ يا أَبَتاهُ !

أَىُّ هَوْلٍ أُلاقِيهِ ، وَأَىُّ مَأْزِقٍ وَقَعْتُ فِيهِ !

كُلُّ ما حَوْلِي بَغِيضٌ كَرِيهٌ ، لا أَدْرِى كَيْفَ أُحاذِرُهُ وَأَتَّقِيهِ ، وَلا حِيلَةَ لِي فِي دَفْعِهِ وَتَلافِيهِ ! »

✲ ✲ ✲

كانَ « نُونُو » يَقُولُ لِنَفْسِهِ — حِينَئِذٍ — ساهِمًا مُبَلْدِمًا ، مَحْزُونَ الْقَلْبِ مُتَأَلِّمًا :

« ما بالُهُمْ لا يُضِيئُونَ وَلَوْ شَمْعَةً صَغِيرَةً تُبَدِّدُ ما حَوْلِي مِنَ الظَّلامِ ، وَتُخَفِّفُ بَعْضَ ما أُكابِدُ مِنْ شُجُونٍ وَآلامٍ !

ما بالُهُمْ لا يَفْتَحُونَ ثُغْرَةً يَدْخُلُ مِنْها وَلَوْ شُعاعٌ ضَئِيلٌ ، مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ الْجَمِيلِ ! »

٧ — رَجاءٌ واسْتِعْطافٌ

بِمِثْلِ هٰذِهِ الْخَواطِرِ والْأَمانِيِّ كانَ «نُونُو» يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، لِيُجَدِّدَ أَمَلَهُ وَيُبَدِّدَ يَأْسَهُ. عَلَى حِينَ كانَتِ الْبَقَرَةُ تَطْحَنُ الدَّرِيسَ بَيْنَ أَسْنانِها، فَيَتَساقَطُ مُتَتابِعاً عَلَى سَجِينِها.

لَمْ يَلْبَثْ «نُونُو» أَنْ رَأَى فَراغَ جَوْفِها يَضِيقُ بِساكِنِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَيُوشِكُ أَنْ يَنْطَبِقَ، حَتَّى كادَ يَخْتَنِقُ.

ضَجِرَ «نُونُو» بِصُنْعِها، وَتَمَلْمَلَ مِنْ فِعْلِها.

جَمَعَ «نُونُو» جِسْمَهُ وَدَوَّرَهُ، وَحَوَّاهُ وَكَوَّرَهُ.

اِنْطَلَقَ يَدْعُو الْبَقَرَةَ مُتَلَطِّفاً مُتَأَدِّباً، وَيُنادِيها راجِياً مُتَعَتِّباً، وَيَقُولُ لَها مُسْتَعْطِفاً مُتَحَبِّباً:

«رُحْماكِ يا خَنْساءُ! رِفْقاً أَيَّتُها الْبَقَرَةُ الْحَسْناءُ!

رُحْماكِ! رُحْماكِ! بِرَبِّكِ إِلَّا ما كَفَفْتِ عَنِّي شَرَّكِ وَأَذاكِ!

أَنْتِ ـ يا خَنْساءُ ـ بَقَرَةٌ كَرِيمَةٌ، حانِيَةٌ رَحِيمَةٌ.

ما ضَرَّكِ لَوْ أَعْفَيْتِنِي مِنْ دُعابَتِكِ، وَرَحِمْتِنِي مِنْ مُضايَقَتِكِ.

ما بالُكِ لا تَسْمَعِينَ وَلا تُجِيبِينَ.

أَكَذٰلِكِ ـ يا سَيِّدَةَ الْأَبْقارِ ـ تَصْنَعِينَ، بِضَيْفِكِ التَّاعِسِ الْمِسْكِينِ : لا تَأْبَهِينَ لِشَأْنِهِ وَلا تَحْفِلِينَ، تُسِيئِينَ إِلَيْهِ وَلا تَعْتَذِرِينَ ، تُخَيِّبِينَ رَجاءَهُ وَلا تَخْجَلِينَ !

ما بالُكِ لا تَهْدَئِينَ! تَتَعَجَّلِينَ الطَّعامَ وَلا تَصْبِرِينَ !

ما بالُكِ لا تَهْتَمِّينَ بِرَجائِي ، وَلا تُنْصِتِينَ إِلَى دُعائِي ؟

ما بالُكِ تُسْرِفِينَ فِي الْتِهامِ كُوماتِ الدَّرِيسِ ، وَلا تُشْفِقِينَ عَلَى ضَيْفِكِ الْحَبِيسِ ! شَدَّ ما عَنُفْتِ ـ يا خَنْساءُ ـ وَقَسَوْتِ، وَأَسْرَفْتِ فِي الْأَذَى وَغَلَوْتِ !

أَلا تَكْتَفِينَ بِما طَعِمْتِ ، وَتَقْنَعِينَ بِما أَكَلْتِ وَشَرِبْتِ؟ !»

٨ — فَزَعُ الْخادِمَةِ

كانَتِ الْخادِمَةُ جادَّةً فِي حَلْبِ الْبَقَرَةِ حِينَ سَمِعَتْ صَوْتَ « نُونُو » يَتَحَدَّثُ إِلَيْها ، وَيُنادِيها . تَلَفَّتَتِ الْخادِمَةُ حَوْلَها لِتَرَى مَصْدَرَ الصَّوْتِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا .

عَبَثًا حاوَلَتْ أَنْ تَعْثُرَ ـ لِصاحِبِ الصَّوْتِ ـ عَلَى أَثَرٍ .

يا لَحَيْرَتِها وَدَهْشَتِها ! لَمْ يَكُنْ صَوْتُ « نُونُو »



ـ فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ ـ غَرِيباً عَنْها ، وَلا جَدِيدًا عَلَيْها .

ها هِيَ ذِي تَذْكُرُ أَنَّها سَمِعَتْ هٰذا الصَّوْتَ حِينَ كانَتْ

تَبْحَثُ عَنِ اللِّصَّيْنِ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ دُونَ أَنْ تَعْثُرَ لَهُما عَلَى أَثَرٍ .

ها هِيَ ذِى تَسْمَعُهُ - مَرَّةً أُخْرَى - فِي وَضَحِ النَّهارِ مُمَيَّزَ الْكَلِماتِ؛ كَما سَمِعَتْهُ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ مُنْذُ ساعاتٍ.

ها هِيَ ذِى تَسْمَعُهُ يَتَرَدَّدُ مِنْ مَكانٍ خَفِيٍّ، فَيُخَيَّلُ لِمَنْ يَسْمَعُهُ أَنَّهُ صَوْتُ عِفْرِيتٍ أَوْ جِنِّيٍّ! لا عَجَبَ إِذا اشْتَدَّتْ دَهْشَتُها، وَتَضاعَفَ ارْتِباكُها وَحَيْرَتُها.

لا عَجَبَ إِذا سَقَطَ الْإِناءُ مِنْ يَدِها عَلَى أَرْضِ الزَّرِيبَةِ وَسالَ ما فِيهِ، وَتَبَدَّدَ ما يَحْوِيهِ.

٩ — صَرَخاتُ الْفَزَعِ

لَمْ تَحْتَمِلِ الْخادِمَةُ هٰذا الْبَلاءَ، وَلَمْ تُطِقْ صَبْرًا عَلَى الْبَقاءِ. أَسْرَعَتْ إِلَى سَيِّدِها مُغَوِّثَةً مُوَلْوِلَةً، واسْتَنْجَدَتْ بِهِ قائِلَةً: «أَغِثْنِي - يا سَيِّدِى - أَغِثْنِي!

أَدْرِكْنِي - يا سَيِّدِى - أَدْرِكْنِي! كادَ الْخَوْفُ يُهْلِكُنِي.

صَوْتٌ يَنْبَعِثُ مِنْ مَكانٍ خَفِيٍّ. لا أَدْرِى أَصَوْتُ عِفْرِيتٍ أَمْ صَوْتُ جِنِّيٍّ، أَمْ صَوْتُ إِنْسِيٍّ بائِسٍ شَقِيٍّ؟!

ها هُوَ ذا يَشْكُو وَيَتَأَلَّمُ، فَيُخَيَّلُ لِي أَنَّ الْبَقَرَةَ تَتَكَلَّمُ!»

١٠ ــ رَبُّ الدَّارِ

أَسْرَعَ إِلَيْها رَبُّ الْبَيْتِ غاضِباً حانِقًا ، وَقالَ لَها زاجِرًا زاعِقًا : « صَهٍ ، أَيَّتُها الْغَبِيَّةُ الْبَلْهاءُ ! مَهٍ ، أَيَّتُها الطَّائِشَةُ الرَّعْناءُ ! أَلا تَخْفِضِينَ مِنْ صُراخِكِ وَصِياحِكِ ، وَتَكُفِّينَ عَنْ عُوائِكِ وَنُباحِكِ !

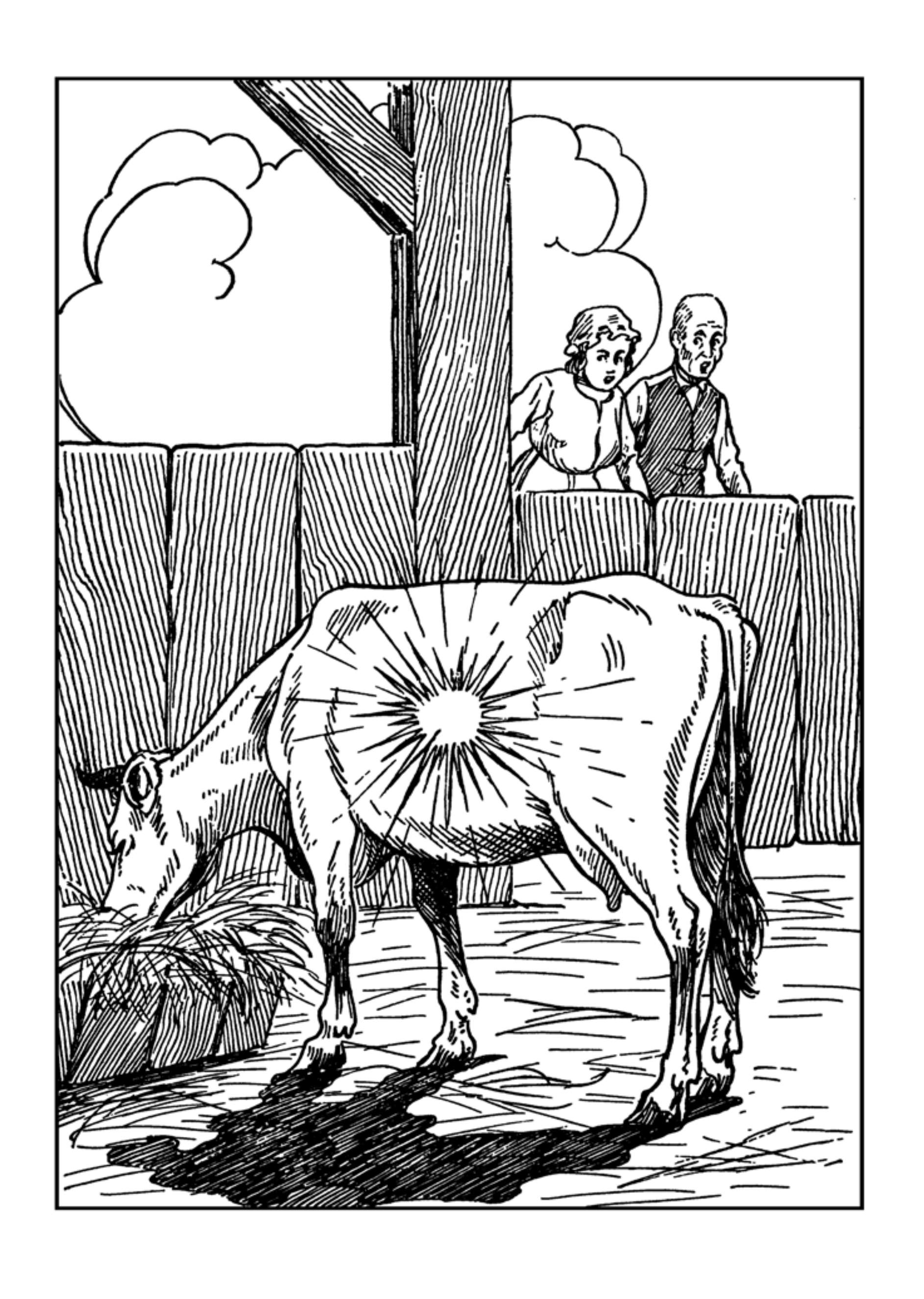
أَيَّ هَذَرٍ تَنْطِقِينَ ، وَأَيَّ مُحالٍ تُرَدِّدِينَ ! لا رَيْبَ أَنَّكِ هُتِرْتِ أَوْ خَرِفْتِ ، أَوْ أَصابَكِ مَسٌّ فَجُنِنْتِ ! »

اِسْتَأْنَفَتِ الْخادِمَةُ دُعاءَها ، مُكَرِّرَةً رَجاءَها .

أَسْرَعَ إِلَيْها السَّيِّدُ ؛ لِيَتَعَرَّفَ جَلِيَّةَ أَمْرِها ، بَعْدَ أَنْ ضَجِرَ بِصِياحِها ، وَضاقَ صَدْرُهُ بِصُراخِها .

١١ ــ فَزَعٌ مُشْتَرَكٌ

لَمْ يَكَدِ السَّيِّدُ يَدْنُو وَيَقْتَرِبُ ، حَتَّى تَفَزَّعَ واضْطَرَبَ . لا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَيْرَةِ حِينَ فاجَأَهُ صِياحُ « نُونُو » مُنْبَعِثًا مِنْ جَوْفِ الْبَقَرَةِ ؛ مُنْطَلِقًا فِي مَرارَةٍ وَحَسْرَةٍ . يَدْعُوها فِي نَبَراتٍ مُؤَثِّرَةٍ ، وَيَرْجُوها فِي فِقَراتٍ مُعَبِّرَةٍ .



لا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوْلى عَلَيْهِ مِنَ الرُّعْبِ ، حِينَ سَمِعَ صَوْتاً يَنْبَعِثُ مِنْ جَوْفِ الْبَقَرَةِ قائِلاً : « كَلَّا ، كَلَّا يا خَنْساءُ . كَلَّا ، لا أُطِيقُ الْبَقاءَ ! لا قُدْرَةَ لِإِنْسانٍ ، عَلَى احْتِمالِ هٰذا الْهَوانِ .

كُفِّى - يا خَنْساءُ - كُفِّى . حَسْبِى - ما لَقِيتُ مِنْ أَذاكِ - حَسْبِى .

لا حاجَةَ بِى إِلَى مَزِيدٍ ، وَلا أَرَبَ لِى فِى طَعامٍ جَدِيدٍ .

أَلا تَقْنَعِينَ بِما أَكَلْتِ وَشَرِبْتِ . أَلا تَشْبَعِينَ مِمَّا الْتَهَمْتِ وازْدَرَدْتِ ! أَلا يَكْفِيكِ ما أَهْدَيْتِ إِلَى ضَيْفِكِ الْحَبِيسِ ؛ مِنْ جُرَعِ الْماءِ وكُوماتِ الدَّرِيسِ !

شَدَّ ما آذَيْتِ ضَيْفَكِ ، بِما مَلَأْتِ بِهِ جَوْفَكِ ! »

اِلْتَمَسَ الرَّجُلُ لِخادِمَتِهِ صادِقَ الْعُذْرِ ، وَشارَكَها فِيما ساوَرَها مِنَ الْخَوْفِ وَالذُّعْرِ . خافَ رَبُّ الدَّارِ وَجَزِعَ ، مِمَّا شَهِدَ وَسَمِعَ . شَرَدَ لُبُّهُ ، وَتَفَزَّعَ قَلْبُهُ .

١٢ — دَعْوَةُ الْجَزَّارِ

اِنْطَلَقَ رَبُّ الدَّارِ يَقُولُ ، وَهُوَ مُخَبَّلٌ مَذْهُولٌ :

« ما رَأَيْنا - قَبْلَ هٰذا - بَقَرَةً تَتَكَلَّمُ ، وَتُفْصِحُ عَنْ شَكْواها وَتُتَرْجِمُ ! لا رَيْبَ أَنَّ الْبَقَرَةَ ، سَحَرَها خَبِيثٌ مِنَ السَّحَرَةِ ! لا بُدَّ مِنْ دَعْوَةِ الْجَزَّارِ لِذَبْحِها ، وَإِنْقاذِنا مِنْ أَذاها وَشَرِّها . »

١٣ — فَزَعُ الْجَزَّارِ

حَضَرَ الْجَزَّارُ عَلَى عَجَلٍ. أَسْرَعَ إِلَى الْبَقَرَةِ فَذَبَحَها، وَسَلَخَ جِلْدَها وَشَقَّ بَطْنَها، وَأَخْرَجَ أَمْعاءَها. أَمْسَكَ الْجَزَّارُ بِالْكِرْشِ الَّذِي اسْتَقَرَّ فِيهِ «نُونُو» لِيَشُقَّهُ.

تَرَدَّدَ صَوْتُ «نُونُو» مِنْ جَدِيدٍ. يا لَهَوْلِ الْمُفاجَأَةِ! كانَتْ أَعْجَبَ مُباغَتَةٍ شَهِدَها الْجَزَّارُ!

صَوْتٌ تَسْمَعُهُ أُذُناهُ، لا يَتَبَيَّنُ صاحِبَهُ وَلا يَراهُ، وَلا تُبْصِرُهُ عَيْناهُ.

تَحَيَّرَ الْجَزَّارُ - فِي أَمْرِهِ - واضْطَرَبَ، وَتَفَزَّعَ وارْتَعَبَ.

أَدارَ الْجَزَّارُ لِحاظَهُ وَحَدَّقَ بِعَيْنَيْهِ، وَأَرْهَفَ أُذُنَيْهِ:

سَمِعَ الصَّوْتَ يَتَرَدَّدُ عالِيًا، مُسْتَعْطِفًا راجِيًا، يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِ وَيَتَمَهَّلَ، وَيَسْتَأْنِيَ فِي أَمْرِهِ وَلا يَتَعَجَّلَ، حَتَّى لا يُمَزِّقَ حَدُّ السِّكِّينِ، جِسْمَ «نُونُو» التَّاعِسِ الْمِسْكِينِ.

خافَ الْجَزَّارُ وارْتَعَبَ. تَفَزَّعَ واضْطَرَبَ. تَعاظَمَتْهُ الْحَيْرَةُ واسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْعَجَبُ. قَذَفَ بِكِرْشِ الْبَقَرَةِ وَأَسْلَمَ ساقَيْهِ لِلْهَرَبِ.

١ ـــ بَشائِرُ النَّجاحِ

واجَهَ « نُونُو » مِحْنَتَهُ فِي قُـوَّةٍ وَبَأْسٍ ، ثابِتَ الْقَلْبِ راضِيَ النَّفْسِ ، لا يُساوِرُهُ جَزَعٌ وَلا يَأْسٌ .

جَدَّدَ « نُونُو » مِنْ قُوَّتِهِ ، وَضاعَفَ مِنْ عَزْمَتِهِ ، لِيُفَرِّجَ عَنْ كُرْبَتِهِ ، وَيَخْرُجَ مِنْ مِحْنَتِهِ ، وَيَسْتَعِيدَ ما فَقَدَ مِنْ حُرِّيَّتِهِ .

أَثْمَرَ جُهْدُهُ آخِرَ الْأَمْرِ .

أَوْشَكَ « نُونُو » أَنْ يَفُوزَ بِطِلْبَتِهِ ، وَيَظْفَرَ بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ .

أَوْشَكَ أَنْ يَفْتَحَ ثُغْرَةً صَغِيرَةً ، فِي كِرْشِ الْبَقَرَةِ الْكَبِيرَةِ .

تَجَدَّدَ أَمَلُ « نُونُو » فِي النَّجاةِ ، واشْتَدَّ تَعَلُّقُهُ بِأَسبابِ الْحَياةِ .

واصَلَ مُحاوَلَتَهُ دائِبًا ، واسْتَأْنَفَ صِراعَهُ جاهِدًا ، مُلْتَمِسًا مِنَ اللهِ الْمَعُونَةَ والْفَرَجَ ، وَكَشْفَ ما يَلْقاهُ مِنْ ضِيقٍ وَحَرَجٍ .

٢ ـــ شُعاعَةٌ مِنْ نُورٍ

نَفَذَتْ شُعاعَةٌ مِنْ ضِياءِ الشَّمْسِ مُنِيرَةٌ ، مِنْ خِلالِ الثُّغْرَةِ الضَّيِّقَةِ الصَّغِيرَةِ .

لَمْ يَكَدْ يُطِلُّ ـ مِنَ الثُّغْرَةِ ـ رَأْسُهُ ، حَتَّى قَوِيَتْ عَزِيمَتُهُ

واشْتَدَّ بَأْسُهُ، وَأَشْرَقَتْ بِالرَّجاءِ نَفْسُهُ.

لا تَسَلْ عَمَّا غَمرَ قَلْبَهُ مِن بَهْجَةٍ وَفَرَحٍ، وَما اسْتَوْلَى عَلَى نَفسِهِ مِنْ بَشاشَةٍ ومَرَحٍ!

٣ — مُفاجَأَةٌ جَدِيدَةٌ

وارَحْمَتا لِلشُّجاعِ «نُونُو»!

لا يَكادُ الْمِسْكِينُ يُفِيقُ مِنْ حادِثٍ إِلَّا فاجَأَهُ حادِثٌ، وَلا يَكادُ يَخْلُصُ مِنْ كارِثٍ إِلَّا دَهِمَهُ كارِثٌ.

لَمْ يَطُلْ فَرَحُ «نُونُو» واأَسَفاهُ!

خابَ أَمَلُهُ فِى النَّجاةِ، قَبْلَ أَنْ يَفُوزَ بِما تَمَنَّاهُ، وَيَنْعَمَ بِتَحْقِيقِ ما ابْتَغاهُ.

تَأْبَى عَلَيْهِ أَحْداثُ الزَّمَنِ؛ إِلَّا أَنْ تَتَحالَفَ عَلَيْهِ بَواعِثُ الْهَمِّ والْمِحَنِ. تَأْبَى عَلَيْهِ مُفاجِئاتُ التَّعاسَةِ والشَّقاءِ، إِلَّا أَنْ تَغْمُرَهُ صُنُوفُ الْمِحْنَةِ والْبَلاءِ، فَتَمْحُوَ جالِباتِ السُّرُورِ وَتَقْطَعَ أَسْبابَ الْهَناءِ.

يالِلْهَوْلِ ما يَلْقاهُ «نُونُو»!

أَىُّ خَطْبٍ خَطِيرٍ !

أَىُّ شَرٍّ مُسْتَطِيرٍ ، يَتَهَدَّدُ بَطَلَ قِصَّتِنا الصَّغِيرَ !

تَسْأَلُنِي : أَىُّ جَدِيدٍ حَدَثَ !

إِلَيْكَ يُساقُ الْكَلامُ :

٤ — « أَوْسٌ » الْجائِعُ

« أَوْسٌ » ذِئْبٌ جائِعٌ كانَ يَعِيشُ فِى غابَةٍ قَرِيبَةٍ .

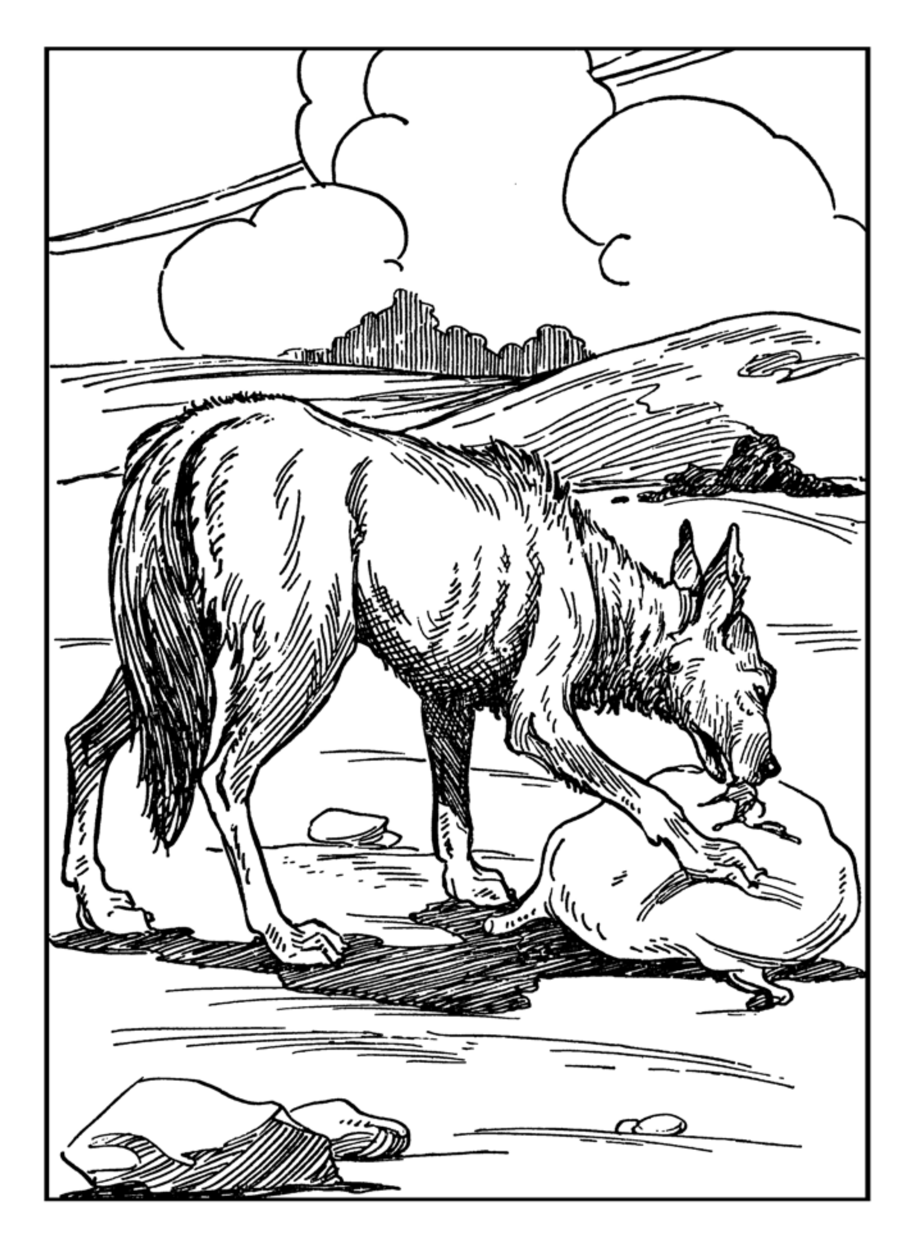
ظَلَّ « أَوْسٌ » يَبْحَثُ فِى الْغابَةِ عَنْ طَعامٍ ، قُرابَةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ . لَمْ يَكَدْ يَسْتَقْبِلُ الصُّبْحَ حَتَّى اشْتَدَّ بِهِ التَّعَبُ ، وَجَهَدَهُ الْجُوعُ والسَّغَبُ .

أَدْرَكَ « أَوْسٌ » أَنَّهُ لَوْ بَقِيَ فِى الْغابَةِ ، هَلَكَ مِنَ السَّغابَةِ (ماتَ مِنَ الْجُوعِ) .

خَرَجَ « أَوْسٌ » فِى بُكْرَةِ الصَّباحِ تَعْبانَ جَوْعانَ ، يَبْحَثُ عَنِ الْقُوتِ فِى كُلِّ مَكانٍ . اِقْتَرَبَ « أَوْسٌ » مِنْ بَيْتِ الْغَنِيِّ .

شَمَّ « أَوْسٌ » رائِحَةَ الْكِرْشِ الَّذِى اسْتَقَرَّ فِيهِ بَطَلُ قِصَّتِنا الْحَبِيبُ .

٥ — فِي جَوْفِ « أَوْسٍ »



لَمْ يَكَدْ « أَوْسٌ » يَشُمُّ رائِحَةَ اللَّحْمِ حَتَّى تَمَلَّكَهُ الْفَرَحُ . أَسْرَعَ إِلَى الكَرِشِ وانْقَضَّ عَلَيْهِ ، أَشْوَقَ ما يَكُونُ إِلَيْهِ .

خَطِفَهُ « أَوْسٌ » والْتَهَمَهُ فِى مِثْلِ وَمضَةِ الْبَرْقِ أَوْ غَمْضَةِ الْعَيْنِ .

ما أَعْجَبَ تَصارِيفَ الْقَدَرِ !

تَمَّتْ فَرْحَةُ « أَوْسٍ » بِشَقاءِ « نُونُو » .

كانَتْ فَرْحَةُ « أَوْسٍ » فِى صَباحِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ بِشُبْعَتِهِ ، وشِفائِهِ مِنْ جَوْعَتِهِ ، لا يَعْدِلُها إِلَّا شِقْوَةُ « نُونُو » بِمِحْنَتِهِ ، وَحَسْرَتُهُ عَلَى ما ضاعَ مِنْ حُرِّيَّتِهِ .

سُنَّةُ الْحَياةِ فِى الْعالَمِينَ : مَصائِبُ قَوْمٍ فَوائِدُ آخَرِينَ !

وارَحْمَتا لِلْحَبِيبِ « نُونُو » ! تَأْبَى الْمُصادَفاتُ الْغَرِيبَةُ ، والْمُفاجَآتُ الرَّهِيبَةُ ، أَنْ يَهْنَأَ « نُونُو » بِراحَةٍ أَوْ يَنْعَمَ لَهُ بالٌ ، أَوْ يَسْتَقِرَّ يَوْمًا عَلَى حالٍ . تَأْبَى حَوادِثُ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ تَسْلُبَهُ سُرُورَهُ وَفَرْحَتَهُ ، وتَحْرِمَهُ أَمْنَهُ وَراحَتَهُ .

تَأْبَى الْأَحْداثُ الْفاجِعَةُ ، والْمُفاجَآتُ الْمُتَتابِعَةُ ، إِلَّا أَنْ يَنْتَقِلَ « نُونُو » مِنْ مِحْنَةٍ إِلَى مِحْنَةٍ ، وَيَخْرُجَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى سِجْنٍ ، وَيَنْتَهِيَ مِنْ مَضِيقٍ إِلَى مَضِيقٍ .

مِسْكِينٌ « نُونُو » : لا تَكادُ تَلُوحُ لَهُ بارِقَةُ أَمَلٍ فِي الانْتِقالِ مِنْ جَوْفِ الْبَقَرَةِ ، حَتَّى يَقْذِفَ بِهِ الْقَدَرُ إِلَى جَوْفِ الذِّئْبِ.

٦ — فَضْلُ الشَّدائِدِ

هٰكَذا أَصْبَحَتْ حَياةُ « نُونُو » سِلْسِلَةً مُتَّصِلَةَ الْحَلَقاتِ ، مِنْ مَآزِقَ مُحْرِجاتٍ ، وَأَزَماتٍ خانِقاتٍ.

كَأَنَّما أَرادَ لَهُ الْقَدَرُ أَنْ تَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الشَّدائِدُ والْمِحَنُ ، لِتَصْقُلَهُ مَصائِبُ الزَّمَنِ ؛ وَتَخْلُقَ مِنْهُ - عَلَى صِغَرِ جِسْمِهِ ، وَضَآلَةِ حَجْمِهِ - بَطَلًا تُخَلِّدُهُ الْأَساطِيرُ بَيْنَ أَبْطالِها ، وَتَضَعُهُ فِي الْقِمَّةِ مِنْ أَفْذاذِ رِجالِها .

لَمْ يَسْتَسْلِمْ « نُونُو » لِلْيَأْسِ فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ ، كَما لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ قَطُّ فِي كُلِّ ما مَرَّ بِهِ فِي حَياتِهِ ، مِنْ مَخاطِرِهِ وَأَزَماتِهِ .

كانَ « نُونُو » - كَما يَقُولُ راوِي قِصَّتِهِ الْعَجِيبَةِ ، وَمُبْدِعُ أُسْطُورَتِهِ الْغَرِيبَةِ - مِثالًا لِلْفِطْنَةِ والْبَراعَةِ والذَّكاءِ ، وَرَمْزًا لِلشَّجاعَةِ والْحُنْكَةِ والدَّهاءِ .

كانَ ـ كما رَأَيْتَ مِنْ خِلالِ ما قَرَأْتَ ـ نافِذَ الرَّأْيِ واسِعَ الْحِيلَةِ ، صادِقَ الْعَزْمِ بارِعَ الْوَسِيلَةِ .

كانَ إِيمانُهُ بِنُصْرَةِ اللهِ ، وَاسْتِجابَتِهِ لِدَعْوَةِ مَنْ دَعاهُ ، إِلَى ما تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ خِلالٍ كَرِيمَةٍ ، وَمَزايا عَظِيمَةٍ ، تَأْبَى عَلَيْهِ أَنْ يَرْكَنَ إِلَى الْيَأْسِ أَوْ يَسْتَسْلِمَ لِلْهَزِيمَةِ .

كانَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّ الشَّدائِدَ تَصْقُلُ الْإِنْسانَ وَتَكْشِفُ عَنْ أَصالَةِ مَعْدِنِهِ ، وَنَفاسَةِ جَوْهَرِهِ ، كَما تَكْشِفُ النَّارُ الْحامِيَةُ عَنْ حَقِيقَةِ الذَّهَبِ بَعْدَ أَنْ تُخَلِّصَهُ مِمَّا عَلِقَ بِهِ مِنَ الشَّوائِبِ .

طالَما قالَ لِنَفْسِهِ : « لَوْلا الشَّدائِدُ ، تَساوَى الْمُتَخَلِّفُونَ وَالْأَبْطالُ ، وَلَمْ تَظْهَرْ عَزَماتُ الرِّجالِ ! »

طالَما سَمِعَ أَباهُ يَتَمَثَّلُ بِالْحِكْمَةِ الْقائِلَةِ :

« كُلُّ مالَمْ يَقْتُلْكَ فَهُوَ يَنْفَعُكَ . »

لَمْ يَنْسَ « نُونُو » هٰذِهِ الْحِكْمَةَ فِى كُلِّ ما مَرَّ بِهِ مِنْ صُنُوفِ الْمِحَنِ ، وَكَوارِثِ الزَّمَنِ .

كانَ « نُونُو » : إِلَى ما تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ خِلالٍ نادِرَةٍ ،

وَمَزَايا باهِرَةٍ ـ ثابِتَ الْقَلْبِ فَصِيحَ اللِّسانِ، عامِرَ الْقَلْبِ بِالْإِيمانِ .

لا عَجَبَ إِذا اعْتَصَمَ بِالشَّجاعَةِ والصَّبْرِ فِي أَضْيَقِ الْأَوْقاتِ ، وَلَمْ يُساوِرْهُ الْيَـأْسُ فِي أَحْرَجِ الْمَواقِفِ والْأَزَماتِ .

٦ ـــ خُطَّةٌ مُبْتَكَرَةٌ

تَسْأَلُنِي : هَلْ أَغْنَتْـهُ صِفاتُـهُ الْعالِيَـةُ ، وَمَزاياهُ السَّامِيَةُ ، فِي الْخُرُوجِ مِنْ هٰذِهِ الْغاشِيَـةِ ، والنَّجاةِ مِنَ الْمَأْساةِ الدَّامِيَةِ ؟

نَعَمْ ! لَمْ يَلْبَثْ « نُونُو » أَنْ وُفِّقَ إِلَى طَرِيقَـةٍ مُبْتَدَعَةٍ ، وَاهْتَدَى إِلَى خُطَّةٍ مُخْتَرَعَةٍ ، تُنْقِذُهُ مِنْ ضِيقِهِ الشَّدِيدِ ، وَتُخَلِّصُهُ مِنْ مَأْزِقِهِ الْعَتِيـدِ (الْحاضِرِ) .

لَمْ يَكُنْ « نُونُو » قادِرًا عَلَى مُغالَبَةِ « أَوْسٍ » وَمُغاضَبَتِـهِ ، وَتَهْدِيدِهِ وَمُخاشَنَتِهِ . لَمْ يَبْقَ أَمامَـهُ إِلَّا أَنْ يَلْجَأَ إِلَى مُلاطَفَتِـهِ وَمُلايَنَتِهِ ، وَتَمْلِيقِـهِ وَمُداهَنَتِـهِ .

كانَ « نُونُو » يُؤْمِنُ أَنَّ فِي بَراعَةِ الْحِيـلَةِ ، خَيْرَ وَسِيلَةٍ :

تَوَجَّـهَ « نُونُو » إِلَى « أَوْسٍ » بِالتَّحِيَّـةِ والدُّعاءِ ، مُتَلَطِّفًـا فِي النِّداءِ ، مُتَفَنِّنًا فِي الْإِغْراءِ ؛ لِيَظْفَرَ مِنْهُ بِما شاءَ .

٧ — حَفْلَةُ عُرْسٍ

بَدَأَ « نُونُو » بِتَحِيَّتِهِ، وَإِعْلانِ ابْتِهاجِهِ بِلِقائِهِ وَفَرْحَتِهِ.

ابْتَدَرَهُ « نُونُو » قائِلًا : « وافَرْحَتا بِالْعَزِيزِ « أَوْسٍ »!

ما أَشْوَقَنِي إِلَى لِقائِكَ، والتَّمَتُّعِ بِمَوَدَّتِكَ وَصادِقِ إِخائِكَ، وَكَمالِ مُرُوءَتِكَ وَعَظِيمِ وَفائِكَ. طالَما سَمِعْتُ ما بَهَرَنِي مِنْ فُنُونِ طَرائِفِكَ، وَعَجِيبِ أَخْبارِكَ وَلَطائِفِكَ . . »

سَأَلَهُ « أَوْسٌ » مُتَعَجِّبًا : « كَيْفَ تَقُولُ، أَيُّها الْمُتَحَدِّثُ الْمَجْهُولُ ؟ مالِي أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلا أَراكَ !

خَبِّرْنِي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ؟ !

خَبِّرْنِي بَعْدَ ذٰلِكَ : أَيَّ جَمِيلٍ تُرِيدُ أَنْ تُقَدِّمَهُ لِي ؟ »

٨ — دَهْشَةُ « أَوْسٍ »

اِبْتَدَرَهُ « نُونُو » قائِلًا :

« أَلا يَسُرُّ قَلْبَ « أَوْسٍ »، أَنْ أَدُلَّهُ عَلَى مَأْدُبَةِ عُرْسٍ ؟ »

أَجابَهُ « أَوْسٌ » : « بَلَى . يَسُرُّنِي ذٰلِكَ وَيَبْهَجُنِي، وَيُرْضِينِي وَيُسْعِدُنِي . لٰكِنْ : أَيْنَ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَيْها، وَيُرْشِدُنِي إِلَيْها ؟ »

قالَ « نُونُو » : « نَعِمَ بالُكَ ، وَسُعِدَ حالُكَ ، وَتَحَقَّقَتْ آمالُكَ . ما أَيْسَرَ ما طَلَبْتَ ، وَما أَهْوَنَ ما قَصَدْتَ .

حَفْلُ الْعُرْسِ ، فِي انْتِظارِ « أَوْسٍ » .

مائِدَتُهُ الرَّغِيبَةُ ، وَما تَحْوِيهِ مِنْ لَذائِذَ حَبِيبَةٍ ، دانِيَةٌ قَرِيبَةٌ . »

سَأَلَهُ « أَوْسٌ » مُتَعَجِّبًا ، دَهِشًا مِمَّا يَسْمَعُ مُسْتَغْرِبًا :

« أَواثِقٌ أَنْتَ مِنْ هٰذا الْكَلامِ ، أَمْ هُوَ أَمانِيُّ وَأَحْلامٌ ، وَتُرَّهاتُ أَباطِيلَ وَأَوْهامٌ ؟ »

قالَ « نُونُو » : « بَلْ قَوْلُ عارِفٍ مُحَقِّقٍ ، فاحِصٍ مُدَقِّقٍ ، مُتَثَبِّتٍ مِمَّا يَقُولُ مُسْتَوْثِقٍ . »

قالَ « أَوْسٌ » : « هَيْهاتَ ما تَقُولُ هَيْهاتَ .

ما أَظُنُّ ذٰلِكَ إِلَّا وَهْمَ واهِمٍ ، أَوْ حُلْمَ نائِمٍ . »

قالَ « نُونُو » : « ما قُلْتُ إِلَّا الْحَقَّ ، وَما نَطَقْتُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ . بَعْدَ قَلِيلٍ يَشْهَدُ « أَوْسٌ » الْكَرِيمُ ، حَفْلَ الْعُرْسِ الْعَظِيمَ ، يَلْقَى فِيهِ ما هُوَ جَدِيرٌ بِهِ مِنْ إِجْلالٍ وَتَكْرِيمٍ ، وَحَفاوَةٍ وَتَعْظِيمٍ . »

قالَ « أَوْسُ » : « أَشْهَدُ أَنَّ ما تَقُولُ ، أَمْرٌ مُسْتَغْرَبٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَلُغْزٌ تَحارُ فِي فَهْمِهِ الْعُقُولُ .

هَيْهاتَ أَنْ تُوجَدَ مِثْلُ هٰذِهِ الْمَأْدُبَةِ ، عَلَى مَبْعَدَةٍ أَوْ مَقْرَبَةٍ .

ما إِخالُكَ جادًّا فِيما تَزْعُمُ وَلا صادِقًا ، وَما أَحْسَبُكَ إِلَّا كاذِبًا مائِقًا ، أَوْ خادِعًا مُماذِقًا ، أَوْ خاتِلًا مُنافِقًا ، أَوْ مُمْعِنًا فِي الضَّلالَةِ غارِقًا . »

قالَ « نُونُو » :

« شَدَّ ما قَسَوْتَ وَعَنُفْتَ ، وَغَلَوْتَ فِي الْإِساءَةِ وَجُرْتَ .

شَدَّ ما جانَبْتَ الصَّوابَ وَظَلَمْتَ فِيما حَكَمْتَ .

حاشا أَنْ أَكُونَ واحِدًا مِمَّنْ ذَكَرْتَ .

ما قُلْتُ إِلَّا ما عَلِمْتُ ، وَما نَطَقْتُ بِغَيْرِ ما شَهِدْتُ .

ماذا يَضِيرُكَ لَوْ صَبَرْتَ وَتَأَنَّيْتَ ، لِتَرَى صِدْقَ ما رَوَيْتُ .

كَيْفَ غابَ عَنْكَ قَوْلُ حُكَماءِ الزَّمانِ :

« عِنْدَ الِامْتِحانِ ، يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهانُ » ! »

٩ – فَرْحَةُ « أَوْسٍ »

اِنْخَدَعَ « أَوْسٌ » الْماكِرُ الذَّكِيُّ ، بِما سَمِعَ مِنْ حَدِيثٍ مُنَمَّقٍ طَلِيٍّ . أَغْراهُ الطَّمَعُ ، وَأَعْماهُ الْجَشَعُ .

أَصْبَحَ راضِيَ النَّفْسِ ، مَوْفُورَ الْبَشاشَةِ وَالأُنْسِ .

لَمَحَ فِي كَلامِ « نُونُو » مَخايِلَ الْحَقِّ ، وَاسْتَشَفَّ مِنْ لَهْجَتِهِ دَلائِلَ الصِّدْقِ .

١٠ – مَكانُ الْعُرْسِ

سَأَلَهُ « أَوْسٌ » ،عَنْ مَكانِ الْعُرْسِ .

أَجابَهُ « نُونُو » :

« هُوَ مِنْكَ قَرِيبٌ ، أَيُّها الأَخُ الْحَبِيبُ . مائِدَتُهُ حافِلَةٌ بِما لَذَّ وَطابَ ، مِنْ طَعامٍ وَشَرابٍ ، تَنْتَظِرُ « أَوْسًا » أَمِيرَ الذِّئابِ .

أَنْتَ عَلَى مَسافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْها ، لَنْ يَطُولَ بَحْثُكَ عَنْها . »

اِنْخَدَعَ « أَوْسٌ » بِتَزْوِيقِ « نُونُو » وَثَنائِهِ ، وَأُخِذَ بِتَمْلِيقِهِ وَإِطْرائِهِ ، وَمُداهَنَتِهِ وَإِغْرائِهِ !

اِشْتَدَّ بِهِ الشَّوْقُ وَدَفَعَهُ الطَّمَعُ ؛ إِلَى التَّحَقُّقِ مِمَّا سَمِعَ .

اِبْتَدَرَ « نُونُو » مُتَعَجِّلًا ، وَرَجاهُ قائِلًا :
« بِرَبِّكَ إِلَّا ما أَسْرَعْتَ بِي إِلَيْها ، وَدَلَلْتَنِي عَلَيْها ! »
قالَ « نُونُو » : « سَمْعًا وَطاعَةً . سَتَنْعَمُ بِها بَعْدَ ساعَةٍ ! »

١١ — أَلْوانُ الْمائِدَةِ

وَصَفَ « نُونُو » لَهُ الطَّرِيقَ ، فى أُسْلُوبٍ مُهَذَّبٍ رَقِيقٍ ، وَبَيانٍ مُفَصَّلٍ دَقِيقٍ . وَصَفَ لَهُ كَيْفَ يَتَسَلَّلُ إِلَى الْمَطْبَخِ مِنْ بالُوعَةِ الْبَيْتِ الضَّيِّقَةِ .

تَفَنَّنَ فِي وَصْفِ الْمائِدَةِ وما تَحْوِيهِ ، مِمَّا يَحْلُمُ بِهِ وَيَشْتَهِيهِ : مِنْ حَمَلٍ مَشْوِيٍّ ، وَدَجاجٍ مَقْلِيٍّ ، وَلَحْمٍ سائِغٍ طَرِيٍّ ، وَكَعْكٍ مُسَكَّرٍ هَنِيٍّ ، وشِواءٍ لَذِيذٍ ، وَجَدْيٍ حَنِيذٍ (ناضِجٍ مَشْوِيٍّ) ، وَما إِلَى ذٰلِكَ مِنْ أَطايِبَ سائِغاتٍ ، وَلَذائِذَ مُرْتَقِياتٍ .

١٢ — فِي مَطْبَخِ الدَّارِ

لَمْ يَكُنْ « أَوْسٌ » - بَعْدَ ما سَمِعَ - فِي حاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْإِغْراءِ والتَّحْبِيبِ ، والتَّشْوِيقِ والتَّرْغِيبِ .

سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِى أَرْشَدَهُ « نُونُو » إِلَيْهِ، وَدَلَّهُ عَلَيْهِ.

ظَلَّ « أَوْسٌ » يَسْتَبِقُ الْخُطُواتِ، وَيَتَعَجَّلُ الدَّقائِقَ واللَّحظاتِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الدَّارِ، واسْتَقَرَّ بِهِ الْقَرارُ.

تَسَلَّلَ مِنَ الْبالُوعَةِ الضَّيِّقَةِ، فِى ابْتِهاجٍ وَأَمْنٍ وَثِقَةٍ.

أَقْبَلَ عَلَى الطَّعامِ فِى شَرَهٍ وَطَمَعٍ، حَتَّى تجاوَزَ حُدُودَ التُّخَمَةِ والشِّبَعِ.

حاوَلَ « أَوْسٌ » أَنْ يَرْجِعَ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ.

ضاقَ بِالْبالُوعَةِ جِسْمُهُ، لَمَّا تَضاعَفَ وَزْنُهُ وَحَجْمُهُ.

لَمْ يَكُنْ « أَوْسٌ » يَدْرِى - قَبْلَ هٰذا - أَنَّ « نُونُو » خَدَعَهُ وَضَلَّلَهُ، وَغَرَّرَ بِهِ وَتَغَفَّلَهُ. لَمْ يَكُنْ يَدْرِى أَنَّ « نُونُو » ساقَهُ إِلَى بَيْتِهِ، لِيَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى مَوْتِهِ.

١٣ — صَرَخاتٌ زاعِقَةٌ

كانَ « نُونُو » واثِقًا مِنْ نَجاحِ خُطَّتِهِ، وَتَحْقِيقِ إِرْبَتِهِ.

انْطَلَقَ « نُونُو » يُرْسِلُ صَرَخاتِهِ زاعِقَةً، وَيُطْلِقُ صَيْحاتِهِ مُتَتابِعَةً مُتَلاحِقَةً.

تَفَزَّعَ « أَوْسُ » مِنْ صَرَخاتِ « نُونُو » وارْتَعَبَ ، وَتَعَثَّرَ فِي خُطُواتِهِ واضْطَرَبَ .

رَأَى نَفْسَهُ مُشْرِفًا عَلَى الْهَلاكِ ، بَعْدَ أَنْ أُحْكِمَتْ حَوْلَهُ الْحَبائِلُ وَالشِّباكُ .

ماذا يَصْنَعُ الْماكِرُ الْكَبِيرُ ؛ لِيَخْلُصَ مِنَ الْمَأْزِقِ الْخَطِيرِ ، الَّذِي وَرَّطَهُ فِيهِ بَطَلُ قِصَّتِنا الصَّغِيرُ ؟

كانَ أَخْوَفَ ما يَخافُهُ « أَوْسُ » وَأَخْشَى ما يَخْشاهُ ، وَيَتَوَقَّى أَذاهُ ؛ أَنْ يَنكَشِفَ سِرُّهُ ، وَيَفْتَضِحَ أَمْرُهُ ، وَأَنْ يَسْتَيْقِظَ النُّوَّامُ ، فَيَعْجِزَ عَنِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْغابَةِ بِسَلامٍ .

١٤ — ضَراعَةُ « أَوْسٍ »

تَوَسَّلَ « أَوْسُ » إِلَى « نُونُو » راجِيًا مُسْتَعْطِفًا ، وَسَأَلَهُ ضارِعًا مُتَلَهِّفًا ، أَنْ يُخَفِّضَ مِنْ صَوْتِهِ الْجَهِيرِ ، لِيُجَنِّبَهُ سُوءَ الْمَصِيرِ .

قالَ « نُونُو » : « عَلامَ يُعاتِبُنِي « أَوْسُ » وَيُغاضِبُنِي ؟

ما بالُ « أَوْسٍ » يُسْرِفُ فِي الْقَسْوَةِ والْجُحُودِ ، وَيُمْعِنُ

فِى الْـعُقُوقِ والْـكُنُودِ ، وَيَغْلُو فِى الْأَثَرَةِ والْأَنانِيَّةِ ، وَيُفْرِطُ فِى لُؤْمِ الطَّبْعِ وَسُوءِ النِّيَّةِ !

ما بالُ « أَوْسٍ » يَنفِسُ عَلَىَّ صَيْحاتٍ أُفَرِّجُ بِهـا عَمَّا بِى ، وَيَضَنُّ بِصَرَخاتٍ تُخَفِّفُ مِنْ شِقْوَتِى وعَذابِى ، وَكَلِماتٍ أُودِعُها سُرُورِى وَأُعَبِّرُ بِها عَنْ إِعْجابِى ، وفَرْحَتِى بِشَبابِى ؟

ماذا يَضِيرُ « أَوْسًا » أَنْ يَأْخُذَ « نُونُو » بِنَصِيبٍ مِنَ الصَّخَبِ والْمَرَحِ ، وَيَتَمَتَّعَ بِحَظٍّ مِنَ الْبَهْجَةِ والْفَرَحِ !

أَكَذٰلِكَ يَجْزِيهِ ، عَلَى صَنِيعٍ يُسْدِيهِ ؟ »

١٥ — يَأْسُ « أَوْسٍ »

لَمْ يَدْرِ « أَوْسٌ » كَيْفَ يَقُولُ . تَحَيَّرَ « أَوْسٌ » فِى أَمْرِهِ واضْطَرَبَ . تَفَزَّعَ مِنْ هَوْلِ ما يَتَهَدَّدُهُ وَارْتَعَبَ . سُدَّتْ دُونَهُ مَنافِذُ الْخَلاصِ وَغُلِّقَتْ فِى وَجْهِهِ أَبْوابُ الْهَرَبِ .

تَعَذَّبَ وَتَأَلَّمَ . أَطْرَقَ وَبَلَدَمَ . غَلَبَتْهُ الْحَيْرَةُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ .

تَمَلَّكَهُ الذُّهُولُ ، فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَقُولُ .

سَكَتَ صَوْتُهُ وَاحْتَبَسَ ، كَأَنَّما عَقَدَ لِسانَهُ الْخَرَسُ .

١٦ — نَجْدَةُ الْأَبَوَيْنِ

رَفَعَ « نُونُو » عَقِيرَتَهُ (صَوْتَهُ) بِالنِّداءِ ، مُسْتَأْنِفًا ما بَدَأَهُ مِنْ صَخَبٍ وَضَوْضاءَ .

وَصَلَتْ خُطَّتُهُ إِلَى نَتِيجَتِها ، وَانْتَهَتْ إِلَى غايَتِها .

تَمَّ لَهُ الْفَوْزُ والنَّجاحُ ، وَكُلِّلَتْ مَساعِيهِ بِالنَّصْرِ والْفَلاحِ .

لَمْ يَلْبَثِ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ أَنْ تَبَيَّنا صَوْتَ « نُونُو » وَهُوَ يُنادِيهِما مِنْ جَوْفِ الذِّئْبِ .

كادا ـ لِفَرْطِ دَهْشَتِهِما ، وَعَظِيمِ حَيْرَتِهِما ـ لا يُصَدِّقانِ ما يَسْمَعانِ . نَهَضا مِنْ فِراشِهِما يَتَواثَبانِ ، وَخَفَّا إِلَى نَجْدَةِ وَلَدِهِما يَسْتَبِقانِ . وَجَدا بابَ الْمَطْبَخِ مُغْلَقًا .

وَقَفا يُوَصْوِصانِ مِنْ خِلالِ الْبابِ . رَأَيا خَلْفَهُ خَبِيثًا مِنَ الذِّئابِ .

كانَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ فِي مِثْلِ شَجاعَةِ وَلَدِهِما وَثَباتِ قَلْبِهِ ، وَمَضاءِ عَزْمِهِ .

اِنْدَفَعا فِي لَهْفَةٍ وَعَجَلٍ ، بِلا خَوْفٍ وَلا وَجَلٍ .

١٧ — فَأْسٌ ومِنْجَلٌ

أَسْرَعَ الْحَطَّابُ إِلَى فَأْسٍ ، وَأَسْرَعَتْ زَوْجَتُهُ إِلَى مِنْجَلٍ .

قالَ الْحَطَّابُ لِزَوْجَتِهِ : « هَلُمِّى نَقْتَسِمِ الْعَمَلَ : أَصْرَعُ الذِّئْبَ بِالْفَأْسِ ، وَتَشُقِّينَ بَطْنَهُ بِالْمِنْجَلِ . . »

اِبْتَدَرَهُما « نُونُو » مُحَذِّرًا ، وَقالَ لَهُما مُبَصِّرًا :

« صَبْرًا صَبْرًا أَيُّها الْوالِدانِ الْعَزِيزانِ . تَأَنَّيا فِيما تَفْعَلانِ ، وَتَرَفَّقا بِوَلَدِكُما الَّذِى تُحِبّانِ .

لا تَنْسَيا ما يَجُرُّ إِلَيْهِ التَّسَرُّعُ والْعَجَلَةُ مِنْ حَسْرَةٍ وَنَدامَةٍ ، وَما تَنْتَهِى بِهِ الْأَناةُ والرَّوِيَّةُ مِنْ أَمْنٍ وَسَلامَةٍ .

تَذَكَّرا أَنَّ وَلَدَكُما الْمِسْكِينَ ، فِى جَوْفِ « أَوْسٍ » سَجِينٌ . »

خَشِىَ الْحَطَّابُ أَنْ يُصابَ وَلَدُهُ الْحَبِيبُ بِمَكْرُوهٍ أَوْ يَلْحَقَ بِهِ أَذًى . طَلَبَ إِلَى زَوْجَتِهِ أَنْ تَعْتَصِمَ بِالْأَناةِ والصَّبْرِ ، وَتَتْرُكَ لَهُ مُعالَجَةَ الْأَمْرِ .

قالَتِ الزَّوْجَةُ : « الرَّأْىُ ما رَأَيْتَ ، والْقَوْلُ ما قَضَيْتَ .

كَلَّلَ اللهُ جُهْدَكَ بِالنَّجاحِ ، وَتَوَّجَ مَسْعاكَ بِالْفَلاحِ . »



اِنْدَفَعَ الْحَطَّابُ فِى حَماسَةٍ وَقُوَّةٍ ، وَعَزْمٍ وَفُتُوَّةٍ ،
وَسَدَّدَ إِلَى « أَوْسٍ » ضَرْبَةَ فَأْسٍ ، فِى أُمِّ الرَّأْسِ !
كانَتْ ضَرْبَةً هائِلَةً ، فاتِكَةً قاتِلَةً ، أَصابَتْ رَأْسَهُ

فَحَطَمَتْهُ ، وَأَزْهَقَتْ رُوحَهُ وَصَرَعَتْهُ .

سَلَخَ الْوالِدانِ جِلْدَ « أَوْسٍ » حَذِرَيْنَ ، وَشَقَّا جَوْفَهُ مُتَرَفِّقَيْنِ . لا تَسَلْ عَنْ فَرَحِهِما حِينَ انْتَهَى بِالنَّجاحِ مَسْعاهُما ، واطْمَأَنَّ قَلْباهُما عَلَى نَجاةِ وَلَدِهِما ، بَعْدَ أَنْ يَئِسا مِنْ عَوْدَتِهِ ، وَفَقَدا الْأَمَلَ فِي سَلامَتِهِ .

قالَتْ أُمُّ نُونُو : « ما كانَ أَشَدَّ حَنِينَنا إِلَيْكَ ، وَخَوْفَنا عَلَيْكَ ! »

قالَ « نُونُو » : « كُنْتُ أَشْوَقَ إِلَيْكُما ، وَأَشَدَّ حَنِينًا إِلَى لِقائِكُما ، والتَّمَتُّعِ بِحَدِيثِكُما ، وَصادِقِ عَطْفِكُما . اللهُ يَعْلَمُ ما بَذَلْتُ فِي سَبِيلِ ذٰلِكِ ، وَما تَعَرَّضْتُ لَهُ مِنْ مَخاطِرَ وَمَهالِكَ ! »

قالَ أَبُو « نُونُو » : « خَبِّرْنا : أَيْنَ ذَهَبْتَ ، وَكَيْفَ رَجَعْتَ ؟ »

قالَ « نُونُو » : « كانَتْ رِحْلَةً حافِلَةً بِالْمُفارَقاتِ والْغَرائِبِ ، مُفْعَمَةً بِالْمُفاجَآتِ والْعَجائِبِ . كانَتْ - عَلَى قِصَرِها - مَمْلُوءَةً بِالْأَهْوالِ والْمُزْعِجاتِ ، حافِلَةً بِالْكَوارِثِ والْمُهْلِكاتِ !

عَلَى أَنِّي كُنْتُ فِي أَحْرَجِ الْأَوْقاتِ ، وَأَخْطَرِ الْأَزَماتِ ، واثِقًا مِنْ لُطْفِ اللهِ وَعِنايَتِهِ ، وَعَظِيمِ رَحْمَتِهِ . »

الْآنَ تَمَّتْ هَناءَتِي وَسَعادَتِي ، واكْتَمَلَتْ فَرْحَتِي وَبَهْجَتِي ؛ بَعْدَ أَنْ عُدْتُ سالِمًا إِلَى وَطَنِي ، واسْتَرْدَدْتُ ما فَقَدْتُ مِنْ حُرِّيَّتِي وَأَمْنِي . الْآنَ أَخْلَعُ قُيُودَ الْأَسْرِ والرِّقِّ ، وَأَتَنَسَّمُ عَبِيرَ الْحُرِّيَّةِ وَأَنْعَمُ بِهَوائِها الطَّلْقِ . »

قالَ الْحَطَّابُ : « صَدَقْتَ - يا وَلَدِي - صَدَقْتَ . صَواباً قُلْتَ ، وَحَقًّا نَطَقْتَ . تاعِسَةٌ شَقِيَّةٌ : حَياةٌ بِغَيْرِ حُرِّيَّةٍ . »

قالَتْ أُمُّ « نُونُو » : « الْحُرِّيَّةُ لِلرُّوحِ ، كالْهَواءِ لِلْجَسَدِ ، لا بَقاءَ لِحَيٍّ بِدُونِها ، وَلا نَعِيمَ مَعَ فِقْدانِها ! »

١٨ — أَنْباءُ الرِّحْلَةِ

قالَ أَبُو « نُونُو » : « حَدِّثْنا ، يا وَلَدِي عَنْ أَنْباءِ رِحْلَتِكَ ، وَما لَقِيتَهُ فِي أَثْناءِ غَيْبَتِكَ .

خَبِّرْنا : ماذا شَهِدْتَ ، وَفِي أَيِّ مَكانٍ حَلَلْتَ ؟ »

قالَ « نُونُو » : « فِي جُحْرِ فَأْرٍ مَرَّةً ، وَفِي قَوْقَعَةٍ ثانِيَةً ، وَفِي حُزْمَةِ دَرِيسٍ ثالِثَةً ،وَفِي جَوْفِ بَقَرَةٍ رابِعَةً ، وَفِي جَوْفِ ذِئْبٍ خامِسَةً .



ثُمَّ انْتَهَى بِى الْمَطافُ إِلَى بَيْتِ أَبَرِّ النَّـاسِ بِى ،
وَأَحَبِّهِمْ إِلَىَّ ، وَأَعَزِّهِمْ عَلَىَّ : بَيْتِ أَبَوَىَّ !
حَمْدًا لِرَبِّنا الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ ، وَشُكْرًا لِبارِئِنا اللَّطِيفِ

الْخَبِيرِ ، عَلَى ما غَمَرَ بِهِ « نُونُو » الصَّغِيرَ. كانَ أَكْبَرَ ما خَصَّنِيَ اللهُ بِهِ مِنْ فَضْلٍ ، أَنْ رَزَقَنِي نِعْمَةَ الْعَقْلِ ، فَثَبَّتَ قَلْبِي بِالْإِيمانِ والصَّبْرِ ، وَكَلَّلَ مَسْعايَ بِالْفَوْزِ والنَّصْرِ . »

اِشْتَدَّ إِعْجابُ والِدَيْهِ بِصِدْقِ حِكْمَتِهِ ، وَسَدادِ رَأْيِهِ ، وَنَفاذِ بَصِيرَتِهِ . أَقْبَلا عَلَيْهِ مَسْرُورَيْنِ ، وَقالا لَهُ مُؤَكِّدَيْنِ :

« حَسْبُنا ما مَرَّ بِنا مِنْ مُزْعِجاتٍ ، وَأَحْداثٍ فاجِعاتٍ !

كَلَّا ، لَنْ نُفَرِّطَ فِيكَ ـ بَعْدَ الْيَوْمِ ـ أَبَدًا ، وَلَوْ أُعْطِينا مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا ! »

١٩ ـ خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

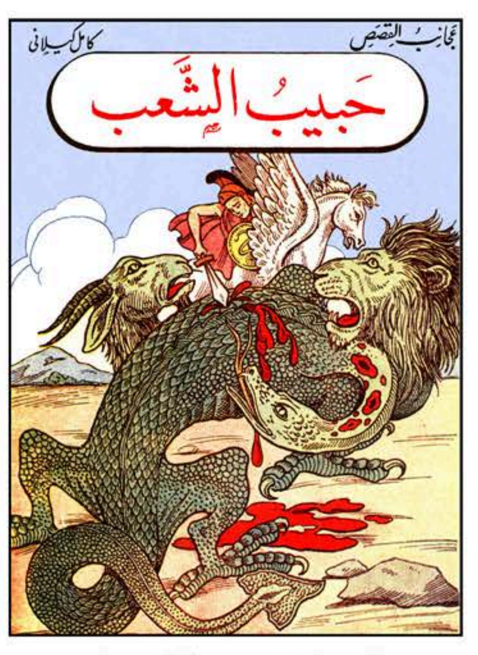
سادَ الْأُنْسُ والصَّفاءُ ، وَعَمَّ الْبِشْرُ والْهَناءُ .

شَكَرَ « نُونُو » لِوالِدَيْهِ مَوْفُورَ بِرِّهِما ، وَصادِقَ عَطْفِهِما .

أَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبَواهُ يَضُمَّانِهِ إِلَى صَدْرَيْهِما ؛ وَيُقَدِّمانِ إِلَيْهِ كُلَّ ما تَشْتَهِي نَفْسُهُ مِنْ طَيِّباتِ الْمَأْكَلِ وَلَذائِذِ الشَّرابِ ، وَنَفائِسِ الْحُلَلِ وَبَدائِعِ الثِّيابِ .

تمّت القصّة

عجائب القصص



دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨

كل الحقوق محفوظة

الثمن ٧ قروش

	ص
الساحر الأحمر	٥
الجواد الطيار	٥
جعبة الشوك	٧
غول النساء	٧
سمسمة	٧
الكوميديا الإلهية	١٠
مغامرات نونو	١٥
مدينة الزجاج	١٢

حفلت هذه المجموعة بروائع مختارة من الأدب العالمى ، ينعم فيها القارئ بألوان من المتع الفكرية العالية ، وتتيح له ضروباً من التصورات البارعة ، تثير فى نفسه غراس الرغبة فى التزود من الفن الأصيل ، والإقبال على الأدب الرفيع .